الموسيقى والمسرح

مجلة أسبوعية تصدر شهرية مؤقتاً

يصدرها

دكتور محمود أحمد الحفني

الإدارة : شارع عماد الدين
٧ حارة عماد الدين ، عابدين
الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة

الاشتراكات عن سنة واحدة
٦٠ قرشاً صاغاً داخل القطر
١٢٠ قرشاً صاغاً خارج القطر

العدد السابع — (السنة الأولى) أغسطس سنة ١٩٤٧ الثمن ٥٠ مليما

فى هذا العدد

كلمة المحرر

عناصر النهضة الموسيقية

(٣)

« الأداء » بين عناصر النهضة الموسيقية يعد فى الطليعة بين الأركان ، وإن تأخر به العنوان .

فالأداء يحمل المظهر الفنى ، وهو الوسيلة التى يعتمد عليها الفن فى إلقاء كلمته ، وتقديم رسالته . وقد لا تكون هناك صلة بين الجمهور و بين الشاعر ، ولا بين الجمهور و بين الملحن ، أما هذا المؤدى فيلتقى بالجمهور وجهاً لوجه ، وعلى أدائه يتوقف نجاح الشعر وسمو التلحين إلى الأوج البعيد الرفيع ، أو سقوطهما إلى الحضيض الأوهد . فكم من قطعة مريضة فى وزنها ، واهنة فى لحنها ، تلقتها شخصية المؤدى ،

وأحاطتها بأكاليل من الأزهار فبدت لمستمعيها كما لو كانت ملكة الجمال بين المقطوعات الغنائية . بينما يدفع القدر الساخر بشعر شاعر ولحن ساحر إلى مؤد غير ناضج فألقى على جمال القطعة دمامة من فنه وأدائه الفج فقبح منها ماحسن ، وأمر (بتشديد الراء) فيها ماحلا وجعلها تختنق فى مهدها

هذا هو المؤدى فى قيمته الفنية ، ورسالته الموسيقية . وينبغى أن لا نتجاهل الوضع الذى نعيش فيه ، والذي كانت أوربا تعيش فيه منذ أكثر من قرنين من الزمان . أعنى أن المغنى هو المسيطر على جميع العناصر الباقية . وعلى الشاعر والملحن أن يأتمرا بأمره ، وينزلا عند حكمه ، ويذعنا فى كل توجيه إلى مشيئته ورأيه . ثم هو الذى يستطيع أن يقول نعم وأن يقول لا ، وعلى غيره السمع والطاعة . ثم هو الذى يعرفه الجمهور بالذات ، ويسأل عنه فى الحفلات ، وينشد حظه فى الطرب من ذلك المؤدى . وقلما كانت له علاقة بغيره من العناصر الأخرى . . .

من أجل ذلك أصبحت شخصية المغنى هى الطاغية على ماعداها ، والعناصر الأخرى مجندة فى خدمته ولحساب رضاه . فهو يضع المقاييس والمساحات والأوزان والقافية لشاعرنا دون أن يطلق له العنان ليسبح فى جو خياله ماشاء . عليه أن يلتزم معانى خاصة ، وأن يجرى بألفاظه فى حدود معينة . وقد يقيد بالوزن المطلوب للحن محدد ، وبذلك يتعرض الشعر إما للمسخ وإما لوجود حركة انفصالية بين الشعر المثالى الراقى وبين هذا الذى يسمى شعراً غنائياً ، أو بالأحرى شعراً تجارياً ، هو سلعة الأسواق ، ووفقاً للأسعار وقيم الممولين . . .

وليس الملحن بأسعد حالا من صاحبه الشاعر أمام المغنى وسلطانه المفروض. فكما أن الأول مقيد فى شعره وأوزانه فهذا محدود فى موسيقاه وألحانه . إننا ياسيدى أمام حنجرة آلية هى صاحبة الأمر والنهى ، وهى التى تلزم الملحن أن يجرى لحنه فى طبقات معينة ، لاتتعداها ارتفاعاً وانخفاضاً ، حتى ولو اقتضت طبيعة اللحن غير ذلك . وما أشبه عمل الملحن فى هذه الحال بعمل الترزى الذى تنحصر درجة إحسانه فى إعداد عمله على مقياس جسم واحد لايصلح لغيره . وما دام الملحن قد قبل لفنه أن يوضع فى هذه القيود فقد حرم استقلاله الفنى قطعاً ، وحرية ابتكاره على الأثر . . .

ولا تمنعنا هذه الحقائق من الاعتراف بأن بعض عباقرة الغناء المصرى فى هذا الجيل لهم أذواق سماوية عاونت بتدخلها على السمو بالشعر واللحن إلى مستوى رفيع ووجهت الشاعر والملحن توجيهاً مثالياً ، ولكن هذا يقع فى قائمة العبقريات النادرة ، والنبوغ الممتاز الذى لا يصلح قياساً عاماً للجميع .

وقد ألمعنا إلى وجود مثل هذه الحال فى أوربا منذ قرون خلت ، حتى جاء جلوك وموتسارت وغيرهما من أعلام الفن وزعماء الابتكار الذين طالبوا بتحطيم السلاسل والأغلال وبأن لا يكون المؤدى هو صاحب السلطان المطاق وأن يكون الملحن منه بمنزلة التابع أو الأجير . . .

كان « موتسارت » نقطة التحول فى هذا الشأن الخطير ، وقد بدأ حياته على مجاراة أسلوب عصره ، فإذا كلف بتلحين أوبرا لتؤدى فى أحد مسارح إيطاليا ، خلا إلى نفسه فوضع نواة الألحان ، وكتب منها ماهو خاص

بالآلات وحدها، فإذا جاء دور الغناء انتقل الملحن العبقري بأجمعه من أراضي النمسا ، مسقط رأسه ، إلى المسرح الإيطالي النائي عن بلاده حتى يجري عملية استعراض لأصوات المغنين والمغنيات الذين سيقومون بأداء الأوبرا . ثم يعود إلى وطنه ليقوم بعملية تفصيل الألحان وفقاً لهذه الحناجر . . .

هكذا بدأ « موتسارت » حياته الفنية خاضعاً لتقاليد عصره ، وسرعان ما استيقظ فيه الوعي الفني فأبى أن يسمح لشيء ما أن يحد من حرية ألحانه حتى ولو كانت حنجرة المغني . وإذن فموتسارت أمام الشعر الذي له معانيه ومراميه وغاياته ، إنه أمام القصة ووقائعها ، ولكل بيت من أبياتها جرسه ورنينه . . . فليضع الألحان تصويراً وتعبيراً ، وليجعلها شرحاً للحادثة وتمثيلا للأحداث والوقائع ، وهو في هذه اللحظة هائم في لحنه ، محلق في أجواء فنه . . . إن المغني لا يمر بذاكرته الآن ولا يخطر له على بال . . . حتى إذا انتهى من جهوده الحرة المستقلة ، وتمت الأوبرا بألحانها السحرية جاء دور الأداء ، وعلى من يشعر بالكفاية والأهلية من المغنين والمغنيات أن يتقدم . . وليختر كل منهم من شخصيات الأوبرا ما تستطيع منطقته الصوتية أن تتحمل ألحانه .

بهذا وحده بقي للألحان كيانها واستقلالها وخلودها، وأصبحت لها الشخصية البارزة الواضحة ، فإذا انتهى منها مغن بدأ فيها آخر ، وهي بعد ملك للفنانين وتراث لهم جميعاً ، وكنوز يتخير كل منهم ما يصلح له منها ، وما يسمو به ويرفعه

إن هذا الفتح الفني في ميدان الموسيقى المسرحية الذي قام به موتسارت أصبح دستوراً لمن بعده ، وأصبحت الأمم الراقية لا تفهم في دستور التلحين غير هذا الوضع لأنه هو الوضع الطبيعي والمنطق السليم المعقول . . .

فهل نحن أولاء في مصر ، وفي منتصف القرن العشرين قادرون على أن ننهج هذا النهج الواضح ، القريب إلى تحقيق آمالنا الفنية لنستفيد بالتجارب التي سبقنا إليها هؤلاء المجددون المشرعون في هذه الأمم منذ أكثر من قرنين؟

إننا إذ نقول هذا إنما ننشد الخير والرقي للمغنين والمغنيات ، على مثل ما رجوناه للشاعر والملحن . وذلك لأنه بالوضع الذي وصفناه والذي نعيش فيه الآن في مصر ، نرى المغني ينوء تحت أعباء تثقل كاهله وتستنفد جهوده ، فهو يشغل نفسه بما ليس من شأنها ، ويحتمل مسئولية لم يخلق لها . وهو بتحكمه في خيال الشاعر وفي إلهام الملحن يضيع على نفسه وعلى صاحبيه فرصة ابتكار كان هو أول من يستفيد بها قبل سواه . . .

إننا في المطالبة بالعمل على مقتضى قاعدة الحرية الفنية ، في الإنتاج والابتكار والأداء ، نرى أنفسنا طلاب استقلال تام في تعاون تام ، يشعر كل عنصر بأن كمال شخصيته غير منقوص ، وأن قيمته الفنية لا يقلل من شأنها أن يتعاون مع غيره ، وأن يتعاون غيره معه . . .

بهذا وحده يتجه كل عنصر إلى تنمية ذاته ، وتقوية ما فيه من حيوية تتصل بعوامل النماء والبقاء . ويومئذ نرى أجمل شعر ، في أبدع لحن ، في أجمل أداء . . .

الدكتور محمود أحمد الحفني

فرانس شــــــوبرت

Franz Schubert

١٧٩٧ — ١٨٣٨

فى سيرة شوبرت مثل نادر الوقوع ، فإن البطل قل أن يتمتع فى حياته بالهدوء والسكينة ، وأن يعيش عيشة راضية كما عاش « فرانس شوبرت » . ولا عجب فقد زهد فى الشهرة ، وعف عن جمع المال ، وترفع عن السعى الألقاب ، وتنزه عن أن تغله الوظائف بقيودها ، فرفض كل ما كان يعرض عليه منها على اختلاف درجاتها ، وانقطع إلى التأليف .

رزق والده ، من زوجته ، تسعة عشر طفلا . قضى منهم تسعة فى طفولتهم . وضاق الوالد بنفقات الأخوة العشرة ، وعجز عن البـذل فى سبيل تعليمهم ، فتولى تربيتهم بنفسه ، وكان مدرساً فى إحدى مدارس فينا ذا ميل خاص للموسيقى ، فلقنها جميع أبنائه فظهرت عليهم بوادر النبوغ فيها ، وعـلى الأخص ولده « فرانس » المترجم له ، الذى تجلت مواهبه ، وكان سباقا بسليقته ، وفى غير حاجة لتدريس والده أو أشقائه له ، بل كان يعرف كل شىء بغريزته .

وقد عنى به والده ، بنوع خاص ، أكثر من جميع إخوته فاستحضر له مدرساً للبيانو والكمان وفن الغناء غير أن معلمه ما كاد يبدأ معه الدرس حتى أكبر أمر الطفل ، ولم ير بداً من استدعاء والده ، ثم بكى أمام عظمة الطفل وقال :

« ما رأيت حياتى ، تلميذاً كهذا ، يعرف بفطرته كل ما القيه عليه من الدروس ؛ ويدرك بغريزته ما يحتاج غيره فى تعلمه إلى سنين » .

ما بلغ الطفل إحدى عشر سنة من عمره ، حتى أجاد الغنـاء بالنوتة ، فانضم إلى الفرقة الموسيقية القيصرية ، وكان رئيسها الموسيقار الشهير « ساليرى Salieri » الذى بهره نبوغ الطفل ، فأخذ على عاتقه المضى فى تعليمه . وكان شوبرت يغنى فى تلك الفرقة أول صوت مرتفع ، وهو صوت السپرانو ، كما كان ينفرد وحده ، دون جميع أفراد الفرقة ، بالعزف بالكمان فى جميع قطعها الانفرادية . وقد لحن فى ذلك الوقت بعض القطع ، كما أظهر من التفوق ما جعل رئيس الفرقة يسند إليه إدارتها فى كثير من الأحايين .

ولقد اشتغل بعد ذلك بدرس الرباعيات الوترية التى وضعها هايدن وموتسارت ، وما استحدثه منها بيتهوفن . ولم يكد ينتهى منها حتى بدأ هو نفسه فى وضع رباعياته الوترية وبعض قطع للبيانو . فلما آنس ساليرى هذه العبقرية ، وكل إلى « روزسكا Ruczisk » أكبر معلم فى فينا فى ذلك الوقت أمر تعليمه صياغة الألحان . ولكن ماذا يفعل المعلم أمام تلك العبقرية

النادرة !! فإنه ما كاد يبدأ معه هو الآخر حتى عاد إلى ساليرى يقول له :

« إنى لا أجد ما أدرسه له ، وماهو بحاجة إلى مدرس . لقد وهبه الله كل ما يحتاج إليه الفنان » .

هنالك أزداد تعلق ساليرى به ، وعمـــد إلى التدريس له بنفسه ، فأخذ يلقنه الموسيقى النظرية حتى عام ١٨١٠ ، ومن ذلك التاريخ بدأت المانيا تستقبل بطل أغانيها ، وتقطف يانع ثمار عبقريته التى لم تعرف الملل ولم تكن لتخونه ساعة ما .

بدأ شوبرت ، وهو فى الثالثة عشرة من عمره ، سلسلة أعماله الخـــالدة . وظهرت له القطع الموسيقية المتعددة والرباعيات الوترية ، وقطع كثيرة خاصة بآلات النفخ ، وقد كانت سرعة تأليفه الألحان تفوق سرعة تدوينها فى النوت الموسيقية . حتى كان يصحبه دائماً كاتب يجلس بجانبه ساعة التلحين فيدون له كل ما يؤلفه .

ولما بلغ السادسة عشرة من عمره ، جاء عليه دور الانضمام للخدمة العسكرية الإجبارية ، التى ما كان لأحد أن يعفى من الانتظام فى سلكها إلا إذا كان مدرساً فى إحدى المدارس العامة ، وعلى ذلك سعى له والده حتى أدخله مساعداً فى تلك المدارس . غير أن مهنة التدريس لم تكن لتعوقه عما امتزج بنفسه من حب العمل الموسيقى ، فقد كان يقضى أوقات فراغه كلها فى دراسة ما كتبه هايدن وموتسارت وبيتهوفن ، ثم بدأ بعد ذلك عمله الأثرى الخالد ، وهو تلحين جميع قصائد جوت « Goethe » وشيللر « Schiller » الشاعرين الألمانيين الخالدين .

وهنا تعرض له أستاذه ساليرى فأعطاه بعض قطع من الأوبرات الإيطالية القديمة قائلا له :

« عليك أن تتعلم اللغة الإيطالية ، وإذا رغبت فى أن تكون ملحناً للأغانى فلا تلحن إلا ما كتب بالإيطالية تلك اللغة الرقيقة ، ولتترك اللغة الألمانية فإنها جافة » .

ولـكن شوبرت أبى عليه ذلك ، فقد كان لا يميل لتلحين الاوبرات ، ولو أنه لحن الكثير منها ، وذلك بأنه كان شاعراً يعشق الشعر ويميل إلى تلحينه . وأدى اختلاف النزعات والأمزجة بينه وبين ساليرى إلى افتراقهما وتباعدهما ..

وفى سنة ١٨١٧ ترك شوبرت التدريس وتفرغ للموسيقى ، ودأب على تلحين قصائد الشاعرين المذكورين . وما كان للشعب فى ذلك الوقت ، وقد تعود أن يتغنى بأغان مبتذله لامعنى لها أن يتذوق معنى أغانى جوت وشيللر ، لهذا أنصرف الشعب عنه ولم يعره الاهتمام اللائق بفنه ، فظلت شهرة شوبرت مقصورة عـــلى أصدقائه ومعارفه ، ولا تتعدى المجتمعات الصغيرة التى كان يلقى هو بنفسه فيها تلك الأغانى .

وفى سنة ١٨١٨ استدعاه النبيل « باول إسترهاتسى » ليصحبه فى رحلته إلى المجر ليدرس فن الموسيقى لابنته فقبل وسافر معه . وهناك سمع الموسيقى المجرية ، وأعجب بذوقها حتى لقد استلهم وحيها فى بعض قطعه التى كتبها فيما بعد . وكان يعيش فى أسرة هذا النبيل كأحد أفرادها ، وشغل بحب ابنته الصغيرة بالتدريج حتى تدله بها . ولقد قالت له يوما « إنك تدعى أنك تحبنى فلماذا لم تهدنى إلى اليوم أغنـــية ما ؟ » فأجابها « ليس من المستلزم أن أعنون إحدى الأغانى باسمك . ولـكنها كلها لك » .

ولم يكن لمثل المسكين شوبرت أن يطمع فى الزواج من الثرية « كارولينا » ابنة النبيل الطائر الصيت . ولكنه آثر أن يحفظ لها فى قلبه الولاء إلى الأبد فعاش مخلصاً لها ، محباً . ولم يتزوج طوال حياته . كما كانت هى

الأخرى كذلك ، ولم تتزوج إلا مكرهة فى سنة ١٨٤٤ بعد وفاة شوبرت .

بعد مضى سنتين من زيارته للمجر امتنع شوبرت عن إعطاء الدروس الخصوصية ، وتفرغ تفرغاً تاماً للتلحين . وكان من عادته أن يستصحب معه صديقه الذى يكتب له الألحان ، ثم يجلسان معاً فى الطبيعة حيث يستلهم شوبرت من جمالها رقة أغانيه .

وكان شوبرت لا يهمه رأى غيره فى ألحانه ما دام هو راضياً عنها معجباً بها . وكان يرفض كل ما يأتيه من الخارج ليلحنه ، وينتقى لنفسه ما يروق له ، معتمداً على وحى وجدانه . وكان يفضل التفرغ للفن مع الفقر على التفكير فى التكسب ، ولا يميل للجلوس إلا مع شاعر أو موسيقى .

وفى سنة ١٨٢٤ مات ساليرى ، وبقيت رياسة فرقة الموسيقى القيصرية شاغرة ، فاستدعى إليها شوبرت ولكنه رفضها بالرغم من إلحاح جميع أصدقائه عليه . كما رفض العمل مع كثير من المسارح . وظل يلحن لنفسه ، ويضع أغانيه بهمة ، حتى بلغ الواحدة والثلاثين من عمره فمرض ومات فى ١٩ نوفمبر عام ١٨٢٨

***

عاصر شوبرت بيتهوفن الذى اقتعد من نفسه مكاناً علياً ، حتى أن شوبرت ما كان يترك مجلساً من مجالسه إلا عطره بذكر بيتهوفن وأكثر فى التحدث عن مواهبه وفنه . وكثيراً ما تاقت نفسه إلى التعرف إليه ، غير أنه كان شديد الحياء ، لم تسعفه جرأته على لقائه ، هيبة له وإكباراً لفنه . فلما ألح أصدقاؤه عليه فى وجوب قيام ذلك التعارف ، لحن أغنية خاصة وذهب إلى بيتهوفن لإهدائها إليه . فما وصل إلى البيت حتى تردد ، وأخذ يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، ثم صعد السلم فى قلب شديد الخفقان ، وسأل عنه ، فلما لم يجده فى البيت سرى عنه ، وكاد يطير به الفرح إلى سكنه . . .

كان بيتهوفن ممن يميلون إلى العزلة وعدم الاهتمام بالعالم . وكان شوبرت شديد الحياء . وهذا هو العامل فى عدم تلاقيهما وتعرفهما بعضهما إلى بعض . غير أن ذلك لم يكن ليمنع بيتهوفن من التحدث عن زميله دائماً ، وكثيراً ما صرح أنه يود أن يراه . وقد بقى الحال كذلك حتى أذيع فى فينا أن بيتهوفن قد لا يعيش أكثر من ثلاثة أسابيع ، وهنا قلق شوبرت ولم يهدأ له بال ، وشعر بوجوب رؤية من تغلغل حبه فى قلبه طوال تلك السنين ، ومن يحمل له التبجيل كل التبجيل ، فسارع إلى زيارته ، ولم يكد يدخل عليه حتى رآه فى سرير مرضه يعانى شدة الوجع ، أصم لا يسمع مناديه . فخنقته العبرات وسحت دموعه ، إذ كان يعتقد أنه يقف قباله أعظم أبطال الموسيقى .

مات بيتهوفن فلم ينقطع شوبرت عن ذكره وتعداد مآثره ، حتى لقى ربه بعد نصف عام من موته ، وأكبر أمانيه أن يدفن بجواره وقد تحققت أمنيته بعد وفاته .

* * *

يلقب شوبرت بملك الأغانى . وهو أحد أقطاب الموسيقى الألمانية الأربعة : بيتهوفن ، موتسارت ، شوبرت ، فاجنار . وقد صاغ من الأغانى ما أعجز جمعه وكل ما أمكن الحصول عليه من أعماله حتى اليوم لا يزيد على ربع ما لحنه .

وشوبرت — وإن لم يطل به الأجل — إلا أنه ترك أكثر من ثلاثين قطعة موسيقية كبيرة بين الألحان الكنسية المعروفة بالقداس وأناشيد وطنية . وجمع ما عرف من أغانيه فى خمسين مجلداً الأغانى ، يشترك فى أداء كل قطعة منها أربعة رجال فأكثر وثلاث نساء فأكثر . وفيها ما يمكن غناؤه بدون الآلات . وأما عدد الأغانى التى لحنها ليغنيها فرد واحد مع متابعة البيانو فلا يمكن لأحد حصره . . . ومن المدهش أن الإنسان إذا اطلع على مجلدات المؤرخين المختلفين لا يجد من بينهم من يتفق وزميله فى تعداد تلك القطع وكل ما وصل إليه جهدهم قولهم إنها عدة مئات . . . .

وقد لحن شوبرت بعض سنفونى تعتبر فى المنزلة الأولى بعد سنفونى بيتهوفن .

وقد زان أغانى شوبرت حسن معانيها . وبلغ من تنوعها أن تجد فيها جميع الطبقات المختلفة ما ترغبه وما يلائم أمزجتها . وقد مات والعالم لا يعرف من أغانيه شيئاً مذكوراً ، اللهم إلا فيينا فقد كان معروفاً فيها بين الطبقات الراقية ، وذلك لسمو معانى أغانيه . ومات ولم يعرف أحد أنه كتب قطعة ما للبيانو . . .

فشتان بين ذلك العصر الذى قضى فيه زهرة شبابه مجهولا ، وبين هذا العصر الذى يحى فيه شوبرت فى قلب كل مغن ومغنية ، وكل موسيقى ، سيما الموقعين على البيانو ، والذى تزين أغانيه جميع حفلاته . . . . . .

لأعلام الموســـيقى

العبقرية لاتصنع شيئاً لا يكون معللا . وكل فنان عبقرى تكمن فى نتاجه فكرة لم يسبقه إلى تفسيرها أحد ، تتفق مع مشاعرنا حتى قبـــل أن يكون فى مقدورنا تعرفها .

مندلسون

كلما تقدمت بى السن زاد اقتناعى بأهمية التحصيل أولا ، ثم تكوين الفكرة ثانياً .

مندلسون

فى اعتقادى أن العمل للموسيقى يبتدىء عندما يصل إلى ما يسمى درجة الكمال الفنى ، أى إلى درجة يمكن أن يقال عنه فيها إنه لايحتاج بعدها إلى معرفة أكثر .

واسيلوفسكى

هناك تشابه غريب بين «الكوليرا» وبين «التذوق الموسيقى» فإن من لديه الاستعداد لقبوله لايستطيع الهرب من عدواه .

سپور

إن مظاهر الاستحسان فى حماس الجمهور هى الهدف الطبيعى الذى يرمى إليه الموسيقى ، ولكن المـــكافأة الصادقة لا يجدها إلا فى استحسان هؤلاء الذين يفهمونه جيداً ويقاسمونه شعوره .

ويبر

كيف تنتظر من الموسيقار لحناً جيداً إذا كانت الأغنية غير جيدة .

هيندل

ألم يحن الوقت بعد للملحنين أن يدركوا أنه دون مرتبتهم أن يلبسوا موسيقاهم لكلمات وصفها فولتير على سبيل التهكم « الكلمات التى تغنى هى التى لاتصلح للكلام»

ليست

الأغانى الغزلية هى بلا ريب أكبر نواحى الموسيقى التى نالت تقدما منذ عهد بيتهوفن .

شومان

أكبر نواحى الجمال فى اللحن والهارمونى يصبح خطأ وغير مضبوط عندما يوضع فى غير مكانه اللائق .

جلوك

مهما يكن الملحن موهوباً فإن إنتاجه الموسيقى يظل عديم القيمة مادام الشاعر لا يلهب فيه الحماس الذى بدونه يكون كل عمل فنى جامد وبدون حياة .

جلوك

أتطلب من الموسيقى أن تؤثر فى ، وأن تثيرنى ، ومن المؤكد أننى لا أستمع إليها لمجرد الترفيه .

برليوز

إذا كانت موسيقاك صادرة من أعماق قلبك فكن على ثقة من أنها ستكون ذات أثر متبادل فى نفوس الآخرين .

شومان

الموسيقى

بين الميول وتحكم الأذواق

يختلف الناس فى ميولهم كاختلافهم فى لغاتهم وطبائعهم ، وتباينهم فى مشاعرهم ومنازعهم . ولكل أمة طابعها الخاص . ولكل فرد من الأمة منزعه الأخص . والحديقة الواحدة يراها أحد الناس فيتمثل فيها الفردوس المفقود . ويمر بها ثان فيراها دليلا على فساد الذوق وانعدام التنسيق . وقلما يقع الاتفاق على شىء واحد لتباين المشارب والميول .

والموسيقى أول القائمة بين الأشياء التى اختلفت عليها أذواق الناس قديما وحديثاً ، الى حد أن القواعد نفسها تطور الحكم عليها بتطور الزمن وتغير الدول . وتبدل الأذواق تبعاً لذلك . فقد يكون الشىء حسنا ملائماً عند شعب ، بينما هو بغيض عند شعب آخر . وقد يكون بعض النواحى الفنية غير مقبول فى عصر ، ثم يلقى عليه الزمان لوناً جديداً فإذا بمكروه الأمس محبوب اليوم . وقد يكون مقبول اليوم مكروها غداً .

إذن فالأذواق والحكم عليها محلى من جهة ، ووقتى من جهة أخرى ، والمستساغ فى لغة قلما كان مستساغاً فى أخرى إلا بنوع من التجديد والتحسين وإعمال يد التحوير والتجميل ، بما يشبه الترجمة والاقتباس .

ولا عيب فى أن تختلف الميول ، بل الطبيعى أن تختلف ، ليتكون من تعارضها ذوق فنى مرغوب فيه .

وإنما التبعة والمؤاخذة على التبلد والجمود . فتسليط الميل الشخصى على فن ، وتحكمه فيه حكماً دكتاتورياً مما يسقط بالفن إلى الدرك الأوهد وينزل بالفنانين إلى عبودية تغل المواهب ، وتشل حركة التقدم والنبوغ .

وتزداد المحنة إذا أضفنا إلى ذلك كله عدم توفر الكفاية الفنية لدى الذين يريدون أن يجعلوا من ميولهم قوانين ، ومن أهوائهم شرائع ، ومن أذواقهم دساتير ، يريدون حمل الناس عليها ، ويعبئون الجهود لها . لا لشىء سوى أنهم هكذا أرادوا ، وهذا هو ذوقهم ، وإن لم يكن لهذا الذوق جدارة علمية ، ولا اطلاع صحيح ، ولا ثقافة يمكن الثقة بها واتخاذها ميزاناً صحيحاً لحكم فنى عادل . . .

فلكل من يجتاز طريق الحديقة الغناء أن يكون ناقداً ، وأن يقول للناس أو لنفسه إنها أعجبته أو إنه غير معجب بها . ولكنه لا يستطيع أن يكون صاحب الحكم المطلق الذى يطالب بتغيير تنسيقها على حكم ذوقه ومشيئة هواه . وتعظم الكارثة إذا كان الذى يفرض ذوقه هذا لا يحسن غرس الأشجار ، فلا هو زارع ولا هو بستانى ، ولا هو شىء فى هذا الباب كله ، وإنما هو مجرد ميل يريد صاحبه أن يفرضه على الناس وأن يضرب به رقاً وعبودية فنية يشل بها كل تقدم ، ويطفىء بها سراج كل نبوغ . . .

إن للموسيقى ما لسائر العلوم والفنون من القديم والجديد . وهى فى ذلك قابلة للمحافظة على قديمها والأخذ من الجديد المفيد . شأنها فى ذلك شأن الشعر والنثر . وان يقف دولاب الحياة عن الحركة . وان تحول الاستفادة من الحديث الطريف دون

الاستئثار لكل تليد مجيد ، والحسن فى كل شىء هو المقبول المعقول . . .

لنا أن نستمتع بالموسيقى القديمة ، ونحتفظ بمحاسنها وننتفع بخير ما فيها . . . ولنا أن نستمع إلى موسيقى اليوم، ونستمتع بمحاسنها مادام فيها محاسن، ولا نرفض مزاياها إذا كان فيها ميزة تفيدنا وتتقدم بفننا .

ولنا أن نستمع إلى موسيقات غير مصرية أو غير عربية ، وأن نستمتع بطرائفها ، ونتعرف مذاهبها واتجاهاتها .

فمن تلك المذاهب المتباينة ، وتلك الألوان العديدة المختلفة ، نستطيع أن نكون أذواقنا تكوينا غنياً بما اطلعنا عليه واستفدناه من الخبرة والنقد لما هو عندنا وما هو عند سوانا .

إذا أبى ذوق إنسان أن يقطع الأسفار بغير الإبل ، فليس له أن يحكم على الناس جميعا بالامتناع عن القطارات والسيارات . وقد يكون من جمال الذوق أن يستحب إنسان ركوب جواد يختال به فى الطرقات والمتنزهات، ولكنه لن يكون جميلا منه أن يطالب الناس بمحاكاته وإلغاء جميع سبل المواصلات الأخرى ...

هكذا الموسيقى ، فى قديمها وحديثها . . . فلكل جانب منهما محاسنه ومآخذه ، مما نضرب عنه الآن صفحا لحاجته إلى التعمق الفنى الذى لم نخصص له هذا المقال ..

وقد كتب إلينا الأستاذ « حسنى ابراهيم » مدرس الموسيقى بمدرسة الملك فاروق الثانوية بالخرطوم ، كلمة بين فيها أن الأذواق تنشأ مع الأطفال تعوداً وتقليداً.. فإذا ما شبوا شبت معهم أذواقهم وأصبحت من العادات التى لا يمكن استئصالها ولا التغلب عليها . . . فإذا أردنا تكوين ذوق سليم ، رحيب الباع ، غير ضيق الأفق فعلينا أن نفرض على الأطفال ألواناً مختلفة من الموسيقات حتى لا يكونوا عبيد لون واحد ، تقف نفوسهم عنده ، ولا يتعدونه إلى مايرقى بمشاعرهم من الألوان الأخرى . . .

وهذا القول صحيح ، فإننا نعرض على الأطفال جميع المتاحف ، ونقوم لهم بالرحلات المدرسية ، ونوحى إليهم بتجديد المناظر ، ومشاهدة صور وألوان لم يعتادوا رؤيتها فى محيطهم الخاص . . . كل ذلك لنجعل فى أذواقهم متسعاً لهضم ألوان الحياة وطرائفها الفنية ما دامت جميلة مستساغة .

وإن فنون الحياة متبادلة ، فكم من مستشرق تعود سماع الموسيقى الشرقية فأطنب فى تعداد محاسنها . . . وكم من شرقى أجاد الموسيقى الغربية واستمتع بثروتها الفنية . . .

ونحن فى عصر تتحكم فيه الإذاعة من محطات الشرق والغرب ، ففى المنازل والمقاهى والأندية ، وحتى فى الطرقات العامة تغزونا أبواب الميكرفونات ناقلة من الإذاعات مايشبه المعجزات . فمدن القارة الأوربية تكلمنا بلغة الموسيقى ، ونحن بدورنا نرسل من معسكراتنا الفنية مانغزوهم به كذلك ، فالحكمة تقضى بتوسيع الدائرة الفنية عند الناشئين ، وتعويد أذواقهم كل جميل مفيد ، من قديم أو جديد . . .

موسيقية الحيوان

الكلب :

يعتبر الكلب من أكثر الحيوانات موسيقية ، وقد أظهرت التجارب العلمية أنك إذا عودت الكلب سماع صوت معين ، وليكن صوت « دو » مثلا وكررت عزفه له على البيانو ، ثم دربته على أن لا يأكل ما يقدم له من الطعام إلا إذا سمع هذا الصوت ، فإن فى استطاعة الكلب أن يميزه مهما عزف له من الأصوات الأخرى حتى ولو كانت قريبة جداً إلى هذا الصوت .

الإبل :

ومعروف أن الحداء كان أقدم أنواع الغناء عند العرب ، وأنه من خير وسائل إنعاش الإبل ، يبعث النشاط فيها وهى مجهدة .

الثعابين والأفاعى :

والثعابين والأفاعى من أشد الحيوانات تأثراً بالموسيقى . والهنود أمهر الناس فى استخدام الموسيقى لاستخدام هذه الهوام وترقيصها بالعزف بالمزامير أصواتاً معينة .

الجاموس والبقر :

ومن العوامل القوية فى استدرار لبن الجاموس والبقر تسليط الموسيقى عليها وإسماعها مختلف النغمات حتى إذا تأثرت بها در لبنها ، وتمكن أصحابها من استغلالها استغلالا مجدياً .

التفاهم بواسطة الأصوات :

عنى كثير من العلماء بدراسة مقدرة تفاهم الحيوان بواسطة الأصوات ، ووضعت كتب خاصة فى هذا الموضوع . وأمكن تقسيم الحيوانات من تلك الناحية إلى أربع عشرة فصيلة .

وقد دلت هذه البحوث على أن الدجاج والأوز أقدر الحيوانات على هذا التفاهم .

أما النحل فإن صغاره لا تخرج من خلاياها إلا إذا أمنت على نفسها فتزن (بتشديد النون) فى داخل الخلية متسائلة عما يمكن أن يكون فى الخارج من أخطار تتعرض لها ، فتجيبها ملكة النحل وهى تطوف بتلك الخلايا بصوت داو يعلن السلام والطمأنينة !!

الطيور الموسيقية :

أثبت الأستاذ « والاس كويج » وهو من أشهر الملحنين الأمريكيين ، ومن أكبر هواة الطيور فى الدنيا الجديدة أن بعض الطيور ومنها طائر « اللقلاق » تلحن بعض الأدوار التى نسمعها وهى تنشدها فوق الاغصان .

وقد ظل هذا العالم أعواماً طويلة وهو يراقب الطيور في الغابات وينصت لها ، وخرج من بحوثه بنتائج

علمية قيمة ، منها أن « اللقلاق » يعلم أفراخه الزقزقة أولا ، ثم يعلمها بعض المقاطع الصغيرة ، ثم يعلمها تغريدة طويـــلة ، ثم يتركها ، ويلحن هو لنفسه تغريدات جديدة !!!

:

صيد السمك بالموسيقى :

ظل السمك منذ بداية التاريخ إلى يومنا هذا يصاد بالشباك والسنانير ...

أما الآن فقد كشف علماء اليابان عن طريقة جديدة لصيد السمك بكميات هائلة ... وذلك باستخدام الموسيقى !!!

فقد ثبت لهؤلاء العلماء أن هناك أصواتاً خاصة تجتذب الأسماك نحوها ... كما أن هناك أصواتاً ينفر منها السمك ويبتعد عنها .

فأخذ العلماء فى تبين هذه الأصوات ، ثم تسجيلها على أسطوانات الجراموفون ... وصنعوا جهازاً خاصاً يوضع فى الماء لإدارة هذه الاسطوانات ...

وسرعان ما رأوا أسراب السمك تسبح نحو هذه الأصوات ... وتتجمع وتتزاحم حولها ... وعندئذ تلقى عليها الشبكة فتصطادها جملة واحدة .

ولا شك أن هذه التجربة ستحدث انقلاباً فى صيد السمك الذى يعد من أهم مصادر الربح فى العالم ... والذى تعتمد عليه أقطار كبيرة بأسرها ...!!!

بحوث علمية

الأمزجـــــــة

للأستاذ محمد علي سليمان

« ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها
قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها »

قرآن كريم

الأمزجة هي انفعالات تنتج عن نشاط إفرازات جسدية داخلية ذات أثر فعال في صحة الشخص وخلقه وسلوكه. وتنقسم إلى خمسة أنواع يجب أن نعرف عنها بعض الشيء لتكون هذه المعرفة وسيلة لأن نعرف أنفسنا

ومتى عرف كل نفسه، أقبل عليها ليستكمل ما فيها من نقص وليكبح جماح النوازع التي تنتابه أحياناً فتدفعه إلى خرق قوانين الخالق في ثورة جامحة لا يلبث بعدها أن يندم على ما فرط منه، وبخاصة إذا كان من ذوي الإحساس المرهف والروح الكريمة والضمير الحي الذي يأبى إلا أن يحاسب النفس على ما قدمت من خير أو شر.

ودراسة الأمزجة تفيدنا أيضاً في التعرف على من يحيطون بنا جميعاً. فنجعل هذه المعرفة أساساً في معاملاتهم لنضمن دوام الرابطة والألفة دون أن يكون للتصرفات الانفعالية التي تحدث عن المزاج أثر في هدم الروابط وتبديد أواصر المحبة.

ويمكنني أن أقرر أن المزاج عارض يلازم البدن منذ النشأة الأولى، ويتبع الظروف المحيطة بالشخص فيتكيف بها شيئاً فشيئاً حتى يصبح طبيعة ملازمة، قد تتغير أو تخف حدتها تبعاً لظروف الشخص وبيئته وغذائه ونوع العمل الذي يقوم به.

أما أقسام الأمزجة فهي: المزاج الدموي، المزاج العصبي، المزاج الليمفاوي، المزاج الصفراوي، المزاج المركب. وسأتعرض في مقالي هذا لكل مزاج بشيء من الشرح والتعليق متوخياً التبسيط قدر المستطاع

١ — المزاج الدموي: يمتاز أصحاب هذا المزاج بنعومة الجلد وبياضه مع حمرة وردية تشوب لون الوجه والأطراف، وألوان شعورهم وعيونهم خفيفة باهتة، وأعناقهم قصيرة، وينم مظهرهم عن اعتدال الصحة لما يتمتعون به من سلامة في الأعضاء الرئيسية كالقلب والرئتين والمعدة، وعضلاتهم قوية مفتولة. يميلون إلى الدعابة والفكاهة حتى في أحرج المواقف، وإحساسهم حاد مرهف يدركون الأشياء في سعة وحذق. يحتملون في أناة وصبر، ولكنهم يخرجون عن حد التعقل إذا ما نفد صبرهم. وتستجيب أرواحهم للموسيقى الخفيفة

الهادئة لأنها تبعث السكينة إلى دمائهم الغزيرة النابضة فى نشاط وحيوية . أما الموسيقى العنيفة فإنها تزيدهم إجهاداً وتجعلهم يحسون التعب الجسمانى عقب بذل أى مجهود يؤدونه تحت سلطان الموسيقى .

وأكثر أمراضهم الحميات وبخاصة التى تنتج من التعرض لضربة الشمس أو الحرارة الشديدة . وهم معرضون أيضاً للالتهابات ومضاعفاتها ولو لأسباب عرضية واهية كما أنهم معرضون لتضخم القلب والنزيف .

وينبغى لأصحاب هذا المزاج أن يحيوا حياة رياضية يستنفدون فيها طاقة نشاطهم الكبير ، وأن يتجنبوا الإسراف في شرب القهوة والمشروبات الكحولية ، وأن يجعلوا أطعمتهم خالية من المواد الحريفة وأن يلجأوا إلى الأماكن الخلوية الفسيحة قدر الإمكان مع تجنب المكث فى الأماكن الضيقة الحارة ، والابتعاد عن الانفعالات النفسية التى تسبب احتقان الوجه ووفرة صعود الدم إلى الدماغ . وعليهم أن يركنوا إلى الموسيقى الخفيفة الهادئة كلما تعرضوا إلى مثل هذه الانفعالات

ومن مشاهير العالم ذوى المزاج الدموى أفلاطون وهنرى الرابع وريشيليو

٢ — المزاج العصبى : أغلب أصحاب هذا المزاج يتميزون بالنحافة ، وقلة النمو فى العضلات ولمعان العينين وحدة القسمات وعلو الجبهة وجفاف الجلد وضموره وعلى الرغم من هذا فهم ذوو نشاط كبير لا يتناسب وقوتهم الجسدية . ومعظمهم أذكياء يتوفر فيهم الحذق والمهارة . ويمتازون بالرقة والحساسية ولكنهم يتأثرون لأتفه الأسباب وسرعان ما يتملكهم الغضب فيحاولون تحطيم كل ما أمامهم فى ثورة عصبية عنيفة قد يفقدون معها وعيهم فى تشنجات عصبية . ويميل أكثر أصحاب هذا المزاج إلى أن تكون لهم فى الحياة فلسفة خاصة يؤمنون بها ويصرون عليها فى عناد ولكنهم سرعان ما يعدلون عنها بمحض اختيارهم ، فهم دائبو التغيير والتجديد لا يستقرون على حال . يحبون بعنف ويبغضون بعنف لا يعرفون الاعتدال إلا بقدر ثقافتهم وظروفهم فى الحياة . والممتازون منهم أصلح الناس للقيادة والرياسة ما لم يكونوا من الشخصيات المنقبضة المنطوية على نفسها . وللخيال عليهم سلطان قوى فهم يعيشون فيه ويتلمسون منه إرواء رغباتهم المكبوتة . والموسيقيون من أهل هذا المزاج يفوقون غيرهم فى براعة الأداء والتأثر بما يوحيه اللحن من مشاعر وأحاسيس .

وذوو المزاج العصبى يميلون إلى الموسيقى العنيفة التى تفيض بالضجيج والحيوية ، ويتأثرون بها إلى حد بعيد وقد يتأثر بعضهم بالغناء إلى درجة يفقد معها وعيه تماما . لذلك كانت موسيقى الآلات أنسب لهم وأخف وقعاً وأكثر تلطيفاً لحدة مزاجهم .

ويتعرض أصحاب المزاج العصبى للأمراض العصبية بمختلف أنواعها ووقعه على النساء أشد منه فى الرجال ، وهم فى مختلف أمراضهم عقدة لا يحلها إلا الطبيب الحاذق العليم لأنهم قلما يصفون أمراضهم وعوارضها دون أن يسبغوا عليها شتى الأوصاب والعلل نتيجة الوهم الذى يعتريهم فيجعلهم يحسون ما ليس له وجود من أعراض لا تمت لأمراضهم بصلة .

وينبغى لأصحاب هذا المزاج أن يخلدوا دائماً إلى السكينة والهدوء مبتعدين عن كل ما يهيج الجهاز العصبى وأن يبتعدوا عن التفكير العميق قدر الاستطاعة وإن كان ولا بد فليكن العمل العقلى على فترات متقطعة

يتخللها الرياضة والسمر . وعليهم الابتعاد عن تعاطي المنبهات القوية كالأفيون والشاى الأسود وأن يعنوا بالرياضة فى الهواء الطلق وارتياد البرارى ومشاهدة الطبيعة الطلقة فذلك خير ما يخفف من حدة المزاج العصبي . ويجب أن تكون رياضة العصبيين بدنية عضلية بحتة وليبتعدوا تماماً عن المقامرة والألعاب العقلية كالشطرنج والبريدج فإنها تستنفد منهم طاقة عصبية عنيفة

ومن المشاهير من ذوى المزاج العصبي طيباريوس قيصر الرومان ولويس الحادى عشر وباسكال وجان جاك روسو .

٣ — المزاج الليمفاوى : هو أسوأ الأمزجة وقعاً فى الرجال لأنه يطبعهم بالليونة والخمول والضعف والميل إلى الحزن . يعرف أصحابه بنعومة الجلد وبياضه ورخاوة العضلات فى فتور وترهل . وكثيراً ما يصاب الجلد بالكلف لا سيما فى الوجه وتبدو فى الأنف ضخامة غير طبيعية وتغلظ حلمة الأذن وتتدلى الشفاة فى تراخ وخمول وذلك لامتلاء الجسم بسوائل غير دموية تبعث نشاطاً فى بعض الأنسجة بينما تضعف القوة الغذائية فى الدم فيميل الليمفاويون إلى النعاس والتقاعد وتضعف قواهم البدنية والعقلية . لذلك قلما يكون الليمفاويون من الممتازين أو العباقرة إلا إذا امتزج مزاجهم بمزاج آخر كالمزاج الدموى وحينئذ يتألف من المزاجين مزاج خليط قد يكون أجدى فى انتشال صاحبه من وهدة الليونة والخمول .

وتميل أجسام الليمفاويين إلى السمنة وهم لا يعبأون بالحياة ولا يقيمون لأحداثها وزنا ولا يتأثرون بالدراما إلا بقدر ضئيل على الرغم من طابعهم الحزين . والموسيقى لا تهز مشاعرهم وإن كانوا يميلون إلى الموسيقى الهادئة اللينة التى توافق طبيعتهم هذه . وهم أكثر الناس عرضة الأمراض التى تجد فى أجسادهم مجالا للأزمات والمضاعفات لضعف المقاومة عندهم .

وأكثر ما يصيبهم الالتهابات المزمنة فى الأغشية المخاطية والجهاز التنفسى والأمعاء وقد يتعرضون للأورام الخبيثة والتدرن وسوء الهضم والروماتزم

لهذا يجب عليهم أن يتجنبوا الإصابة بالبرد وأن يبادروا إلى علاج عللهم فى بداية أمرها وألا يفرطوا فى الرياضة البدنية وأن يتخيروا منها الخفيف المناسب دون إفراط . والأغذية الآزوتية خير ما يخفف وقع مزاجهم . ويحسن أن يعيشوا فى المناطق الجافة البعيدة عن المستنقعات . وهواء الجبال أفيد لهم من هواء البحر والمصايف .

٤ — المزاج الصفراوى : يعرف أهل هذا المزاج بميل ألوانهم إلى السمرة المشوبة بقليل من الاصفرار وشعرهم جاف مجعد وهيئتهم تنم عن خشونة وغلظة وهم عادة ذوو نشاط وذكاء لا يفترون عن العمل المتواصل فى ذكاء وحكمة . ويتصفون بالحرص والأنانية والعناد لا يعبأون بالصعوبات ولا يخضعون لغير أفكارهم التى يعتمدون عليها فى كل شيء . وهم طموحون لا تقف رغباتهم عند حد أو مدى . وأجهزة أجسادهم سليمة فى أغلب الأحيان إلا أنهم يتعرضون أحياناً لأمراض الكبد وسوء الهضم وفي أمكانهم التحرر منها بالاعتدال التام فى الأطعمة والأشربة . والخمر عدوهم الألد فهى تسبب لهم الكثير من المتاعب النفسية والصحية . وتفيدهم الرياضة كثيراً لدرجة أنها ترقق من خشونتهم وتهدىء من انفعالاتهم المزاجية .

وللموسيقى الناعمة تأثير فعال فى ترويض طباعهم فهم يستسيغون كل لون منها ما داموا فى حالة نفسية هادئة

ويتميزون بالقدرة على الكبت وإحكام تدبير

الخطط فى تعقل وروية حتى يصلوا إلى ما يهدفون إليه فى ثبات وإصرار .

ومن مشاهير ذوى المزاج الصفراوى الاسكندر الأكبر ويوليوس قيصر وبروتس وبطرس الأكبر ونابليون الأول

وإذا تتابعت الأحداث على صاحب المزاج الصفراوى وأحس فى حياته بفشل متتابع نتج عن ذلك مزاج سوداوى هو تطرف فى الانفعال . وتبدو حينئذ على صاحبه أعراض مرضية يحس معها حزنا عميقا لا يدرك له سبباً . وينتابه ظمأ وجفاف وأرق وانحراف عن الحالة الطبيعية إلى بعض ألوان من الشذوذ . ويتغلب عليه الوهم ويحاول الانزواء عن الناس معتقداً أن الموت يلاحقه فى كل حين . وحينئذ لا يمكن علاجه إلا بتحليل نفسى تحل على ضوئه العقد النفسية التى تسببت فى استحالة مزاجه الى السوداء .

٥ — المزاج المركب : يحدث أحيانا أن يكون مزاج الشخص خليطا بين مزاجين مما سبق وحينئذ تنزع شخصيته الى الغالب فيهما وأحيانا ينتقل بين المزاجين بحسب نشاط الإفرازات الجسدية التى تغذى المزاج وتمنحه قوة الفعل والتأثير .

فن تربيـــــة الصوت

للأستاذ قسطندي خوري

(٢)

معلومات خاصة يجب أن يلم بها الطالب :

١ - الصوت موجات هوائية .

٢ - تحليل الصوت . أى فصله ورده الى فروعه .

٣ - يتضمن الصوت النغمة الأساسية التى يحدثها اهتزاز الأوتار فى حالتها الكاملة ، والنغمات التوافقية التى هى اهتزازات تقطع الأوتار ، وكلاهما يتقوى بالرنين .

٤ - يسند الإرخاء الضرورى عند إصدار الصوت إلى العضلات المتدخلة دون غيرها ، أى عضلات الحنجرة المتطفلة . أما عضلات الصوت الحقيقية فلا ترتخى مطلقاً أثناء التصويت .

٥ - إن فى الحلق مجموعتين من العضـــلات . وهما على طرفى نقيض فى تأدية وظيفتهما الطبيعية . إحدى هاتين المجموعتين تلزم السكينة أثناء عمل البلع كما أن الأخرى تسكن أثناء التصويت .

٦ - إن عضلات إصدار الصوت غير خاضعة للإرادة فى عملها . أما العضلات المتدخلة فبعكس ذلك لأنها تخضع للإرادة ولهذا فالتدخل يمكن التغلب عليه . ولكن لا يكون هناك ترق مستمر فى التحسين الصوتى بدون فهم وإرادة . لأنه بالفهم الصحيح وتطبيق قوة الإرادة يحصل ضمان أكيد لتحسين جميع الأصوات تحسيناً فائقاً جداً .

٧ - جميــع الأصوات التى هى من الحنجرة تنشأ بالأوتار الصوتية الحقيقية . أما الأوتار المهملة الواقعة رأساً فوقها فليس لها شأن ما فى حدوث الصوت .

٨ - جميــع الأصوات النغمية فى الحنجرة البشرية مركبة . أى أنها تحتوى على النغمة الأساسية وعدد من النغمات التوافقية .

٩ - فى إصدار كل صوت من الأحرف الصوتية تهتز الأوتار الصوتية بأكملها كقطعة واحدة ، وبتقطع . لذلك ، فمن الوجهة العلمـــية فى تعريف الصوت البسيط المجرد هو أنه لا يكون صوت الحرف الصوتى بسيطاً مجرداً قط ، مهما كان وقعه جميلا .

١٠ - إن الصوت الوحيد البسيط المجرد الذى يمكن حدوثه فى الحنجرة البشرية إنما هو الهمهمة . وهذه الهمهمة ليست سوى الصوت الأساسى الذى لا يسمع معه أصوات أخرى توافقه . وهو يتم باطباق الفم .

١١ - إنه لإصدار أحسن نوع للصوت يجب أن تكون النغمة الأساسية أقوى من أى نغمة أخرى من النغمات التوافقية . فإن النغمة الأساسية تعطى جسامة ، وكمالا كما أن النغمات التوافقية بالتحامها المناسب مع النغمة الاساسية تجعل للنوع قيمة لا يمكن الحصول عليها بغير ذلك .

١٢ - إن حدوث الصوت بدون تدخل وبكامـــل الاستعمال الآلى للرنين يقتصد فى استعمال النفس ويزيل ضرورة ضبط النفس تعمداً لدى الغناء .

البقية صحيفة ٢٥٩

في المعهد العالى للموسيقى المسرحية

حفلة تكريم الخريجين :

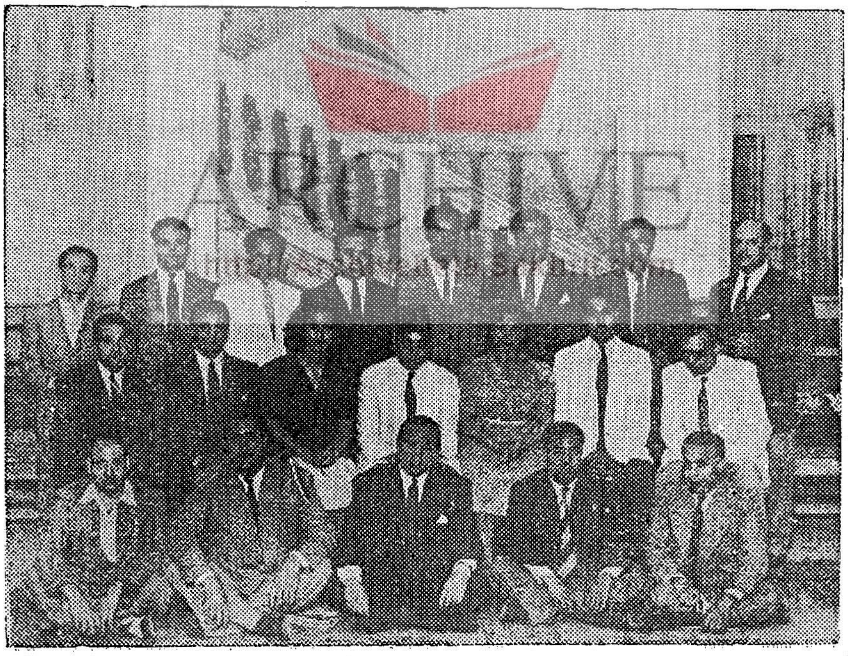
في أول يوليه سنة ١٩٤٧ أقام طلبة المعهد العالى للموسيقى المسرحية حفل تكريم للدفعة الأولى من الخريجين دعى إليها عميد المعهد وأساتذته ، وكان الحفل رائعاً في مظهره ينم عما يغمر جو المعهد من ألفة وارتباط وتقدير متبادل بين هذه الأسرة التى تضم خلاصة نقية من أبناء الموسيقى ورجالها العاملين .

أقبل الجميع قبيل موعد الحفل بوجوه مشرقة تتألق فيها بسمات الترحيب والتكريم وزادت بسماتهم إشراقا

وأقبل الجميع على تناول الشاى وملحقاته على مائدة فاخرة نسقتها الطلبة فسرت الحلوى بمختلف أنواعها إلى الأفواه شهية تشيد بجمال التكريم وكريم الطورطات والجاتوهات والفاكهة والمرطبات .

وبدأ الحفل بتلاوة آى من القرآن الكريم فأضفى على المعهد طهراً ونقاء يرمزان إلى رسالة الفن الموسيقى فى أشرف مظاهره وأكرم مناحيه .

ثم تعاقبت كلمات التكريم شاكرة للعميد مايبذله من



طلبة السنة النهائية بالمعهد العالى للموسيقى المسرحية يتوسطهم عميد المعهد

حينما رأوا عميد الموسيقى يقبل وإلى جانبه شيخ المسرح المصرى الأستاذ الكبير جورج أبيض بك فكان وضعهما هذا عنواناً للموسيقى المسرحية تألف من زعيم الموسيقى وزعيم المسرح .

الجهود فى أناة وحكمة للارتفاع بمستوى الفن المصرى إلى أعلى مكان . وتجلى حب الطلبة لعميدهم ورائدهم فى تحيات رددتها القلوب والألسنة فى وفاء عميق لقائد النهضة الموسيقية الحديثة على دعائم من العلم والفن .

ولم يفت المتحدثين أن يشيدوا بما كان لأساتذتهم من سداد، وتوفيق فى السلوك بهم نحو الغاية المنشودة شاكرين لهم ما بذلوا من جهود مكنتهم من أن يشقوا طريقهم نحو النور الموسيقى والتزود منه بما يكفل لمصر لونا من الموسيقى الصحيحة المدعمة على أحدث النظريات والأساليب .

وشكروا لإخوانهم ذلك الشعور الكريم الذى حدا بهم إلى إقامة هذا الحفل البهيج الذى ستظل ذكراه فى نفوس الطلاب والخريجين ماثلة فى قلوبهم عنواناً لحسن الزمالة وكريم الوفاء .

وقد أشعل الحفل قرائح بعض المدعوين فألقى الأستاذ عبد المنعم وهو من الرسامين الفنانين زجلا بديعاً قوبل بالاستحسان وأثار عاصفة من المرح والضحك . وقد رد عليه بالزجل أيضاً الأستاذ محمد صلاح الدين فى أبيات شيدها أثناء الحفل . ومن بعد ذلك تتابعت ألوان من الغناء وفنون من الدعابة والفكاهة اشترك فيها مجموعة من طلاب المعهد وطالباته فكانوا موفقين إلى حد بعيد .

فكنت ترى البشر والاغتباط يغمران وجوه الجميع والعميد يضفى من تعليقاته البارعة ألواناً فيها الدعابة والحكمة والتوجيه السديد .

وقد تحدث بعد ذلك فأنصتت القلوب والأسماع وانطلق بيانه الساحر فى براعة استهلال غمرت الحفل بعاصفة من الاستحسان والتقدير وذلك عند ما قال وحضرات الزملاء الخريجين . الآن فقط قد جمعتنا زمالة العمل والمهنة ، ثم تحدث عن مدى ما كان يدور فى خلده من الأمانى حينما عاد من أوربا وفى عنقه أمانة لا بد أن يؤديها للوطن عن طريق الموسيقى

وتحدث عما لاقاه من تيسير ومن مصاعب وعن مدى الجهود التى عاونته والظروف التى ناوأته . وأسهب فى شرح تاريخ قيام المعهد العالى للموسيقى المسرحية وأفاض فى تبيان رسالة خريجيه شارحا ذلك فى أسلوب أنيق عريق اختتمه راجياً للموسيقى كل رفعة وكمال وللوطن كل عزة وسؤدد فى عهد الفاروق العظيم راعى الفنون ونصير الفنانين .

وانتهى الحفل وانصرف الجميع شاكرين تلك الجهود لمن نسقها ونظمها ، مثنين على ما أبداه الخطباء من بلاغة وبيان وأداء جيد فى الموسيقى المرحة التى ملأت الأسماع عذوبة ودعابة ورقة .

فن تربية الصوت

بقية صحيفة ٢٥٧

١٣ ـ عضد النفس يجب أن يعبر عنه باستعداد النفس فى الزفير ليقدم الهواء اللازم لاهتزاز الأوتار الصوتية ولا يوجد عضد نفس آخر .

١٤ ـ إن الصوت الطبيعى فى عرف العامة يكون غالباً غير طبيعى على الإطلاق من جراء عامل فيه مكتسبة . أما الصوت الطبيعى حقيقة ، فهو ذلك الذى يحدث طبقاً للقانون الطبيعى ، أى بعدم التدخل فى عمل الأوتار الصوتية والاستعمال التام للرنين .

١٥ ـ إن تأدية وظيفة العضو الصوتى المستعملة على الوجـــه الصحيح هى ذاتها فى الغناء والكلام . والفرق ليس فى النوع بل فى الدرجة وهو ينسب إلى تثبيت درجة معينة .

١٦ ـ الغناء المسجع يتطلب تنفساً مسجعاً .

دعـــــــاء

نظم الاستاذ الصاوى شعلان

بحمدك يا بارىء العالمين وأنت الرحيم وأنت المعين
فإياك نعبد فى كل حين وإياك يا ربنا نستعين

. . .

إذا الصبح أهدى إلينا سناه عرفنا بشمسك نور الحياه
بجدواك نحيا وأنت الإله تعاليت يا أرحم الراحمين

نظمت على الغصن عقد الزهور وأنبت فى العش رزق الطيور
ولم تحرم النمل تحت الصخور من الفضل حتى رزقت الجنين

. . .

مياه البحار وصخر الجبال وطيف النسيم وفيء الظلال
تنادى بحمدك يا ذا الجلال تباركت يا أحسن الخالقين

على غيث برك عاش الفقير وفى ظل جودك ينمو الصغير
وأنت على كل شىء قدير ونورك فى كل شىء مبين

. . .

إذا الليل أرخى ستور الظلام تجلى ضياؤك يهدى الأنام
وعينك تحرسنا فى المنام إلى أن نرى الصبح مستبشرين

نشيد

دعاء

تلحين الاستاذ محمد صلاح الدين



مقام اللحن : اللحن من مقام بوسليك على الدوكاه (رى مينور) ينقل إلى مقام النوأثر ويعود إلى البوسليك .

تعزف موسيقى البيت الأول من كل مقطع كمقدمة موسيقية .

تكرر موسيقى النشيد ثلاث مرات ويختم بالمقطع الأول .

فى عالم الموسيقى والمسرح

الاذاعة فى القرى

عقد صاحب العزة محمد قاسم بك المدير المنتدب لإدارة الإذاعة اجتماعاً بمكتبه حضره مندوبون من جميع الوزارات للبحث فى المسائل الخاصة بتعميم الأجهزة اللاسلكية فى القرى والإذاعة الريفية .

وقد تقرر مبدئياً أن يعهد إلى المراكز الاجتماعية والجمعيات التعاونية والوحدات الزراعية بتكوين مراكز لاقتناء الأجهزة . وأن تعد كل وزارة برنامجاً للإرشادات القروية المبسطة فى دائرة اختصاصها ، على أن تتولى الإذاعة الإعداد الفنى لهذه البرامج . كما تقرر إعداد أحاديث يقوم بها كبار الموظفين عن المسائل القومية .

المسرح الشعبى

— تقرر تأليف لجنة برياسة حضرة صاحب العزة الوكيل المساعد لوزارة الشئون الاجتماعية لاختيار ممثلى أفراد الوحدة الأولى ، وذلك على ضوء الملاحظات التى قدمت فى هذا الشأن .

— طلبت بلدية الأسكندرية إلى وزارة الشئون الإجتماعية أن تساهم معها فى تنشيط موسم الاصطياف هذا العام بالأسكندرية وذلك بتشجيع إقامة الحفلات المختلفة بواسطة مسرح شعبى متنقل تقوم بتنظيم برامجه محطة الإذاعة اللاسلكية ، على أن يطوف المسرح مختلف أحياء المدينة ويعمل فى الهواء الطلق .

الحفلات الصيفية الموسيقية

عهدت بلدية الأسكندرية إلى جريدة « الريفورم » المصورة التى تصدر فى هذه المدينة بتنظيم حفلات صيفية للتشجيع على الاصطياف فى الأسكندرية وضواحيها .

وقد أقامت الجريدة الحفلة الأولى فى مسا ١٧ يوليه بحديقة انطونيادس . وكانت حفلة موسيقية «سيمفونى» اشتركت فيها هيئة أوركستر مؤلف من ثمانين موسيقياً من وطنيين وأجانب ، وجوقة من المغنين مؤلفة من ٧٠ مغنياً . وقد مثلت خلال الحفلة الفصل الثانى من أوبرا « عايده » .

مخطوطات بيتهوفن وشوبرت

عرض أخيراً فى لندن أحد هواة جمع النوت الموسيقية مجموعة من نوت بيتهوفن الموسيقية لبيعها فى المزاد العلنى .

وقد بيعت نوتة (سونات صول ماجير) التى كتبها بيتهوفن عام ١٨١٠ بمبلغ ١٠٥٠ جنيها ، بينما بيعت خطابات خاصة كتبها عام ١٨٢٣ بمبلغ ٢٣٠ جنيها .

وفى نفس الوقت عرضت لشوبرت نوتتان لأغنية كتبها عام ١٨١٦ بمبلغ ٢٧٠ جنيها .

فلم تشايكوفسكى

عرضت بعض دور السينما بالقاهرة فى الأسابيع الماضية فلم « تشايكوفسكى » فأثار اهتمام الصحافة المصرية

ونقاد السينما فيها ، وقد عالجوه على أنه فلم روسى جديد وإنتاج روسى . ولا ريب فى أن الذى أوحى إليهم بهذه الفكرة أن الفلم باللغة الألمانية وأن موضوعه حياة الموسيقار الروسى « تشايكوفسكى » فقالو إنه دعاية روسية كتبت فى النمسا وهى الآن خاضعة للنفوذ (أو الاحتلال) الروسى

ونريد أن نؤكد للجميع أن هذا الاستنتاج خاطىء . وأن هذا الفلم هو فلم ألمانى فى إنتاجه وفى فنه ، وهو قديم ، قامت المانيا بإنتاجه قبيل الحرب ، يوم كانت تخطب ود روسيا تمهيداً لتحالفهما معـــا . وقد شهد عرضه فى برلين كثيرون قبل الحرب .

المعهد العالى للموسيقى المسرحية

ننشر فيما يلى نتيجة امتحان دبلوم المعهد للدور الأول مرتبة أسماء حضرات الناجحين فيه بحسب ترتيب درجاتهم :

ا ـ قسم الأصوات

حسين يوسف زكى . محمد بخيت . عبد الرحمن الخطيب . زينات عبد الجواد عمر . محمد محمود عفيفى . عواطف محمود كامل (الشهيرة بفايدة كامل)

ب ـ قسم الآلات

فؤاد محمد بيومى . ميشيل يوسف . محمد سيف النصر عبد المنصف محمد . محمد نصر الدين على محمد عبده . اسماعيل حامد الشلقانى . بسيونى خنيزى عبد الوهاب السيد . عبد الشافى خليل صالح . محمد على سليمان . محمد على عمران .

والمجلة إذ تهنىء حضراتهم بهذا الفوز فى هذه المرحلة العالية من الدراسة الموسيقية المسرحية ، تتمنى لهم ، وهم الباكورة الفنية الأولى لهذا المعهد ، أن يكتب لهم الفوز فى الحياة العملية وأن يقدموا لمصر من ثمرات فنهم وعلمهم ما يسجل لهم الفخار ، ويخلد لمعهدهم الثناء فيما يقوم به من رسالة فنية هى الأولى من نوعها فى مصر والشرق العربى .

* * *

وفيما يلى أيضا أسماء حضرات الفائزين فى امتحانات النقل السنوية بالمعهد فى الدور الأول بحسب ترتيبهم فى الدرجات :

(١) المنقولون إلى السنة الثالثة

ا ـ قسم الأصوات

اسماعيل على شبانه . فؤاد حلمى حسن . خليل ابراهيم حسين . جمال الدين محمد عبد الحميد توفيق زكى . عبد الفتاح عبد العزيز . صالح امين . سعد الليثى .

ب ـ قسم الآلات

يسرى عبده قطر . محمد حسنى الشبه . محمد محمود عبد اللطيف . حلمى عبده حسين . احمد فؤاد حسن . محمد رفعت ياقوت . عبد الحليم شبانه . شفيق يحيى . عبد الحميد عرفه . على اسماعيل خليفه . محمد عرفة . عبد الغنى عبد الله . ابراهيم الخرط . محمد عبد المنعم عفيفى . احمد فؤاد . محمود محمد عمر . سيد عزازى . زكى محمد عثمان . محمد كمال الدين .

(٢) المنقولون الى السنة الثانية

ا ـ قسم الأصوات

عبد القادر المتبولى . امين عبد الحميد . محمـــد عماد الدين خليفة . ساميه عبد الوهاب . حفيظة ماهر . محمد الطاهر القرضاوى . كمال زكى الطـــويل .

إخلاص الوفا شكيب . محمد صلاح عبد الحميد . سامية محمد . محمد على محمود سليمان . نفيسه عبد الرحمن فخرى . احمد كمال التلبانى . محمد كمال عبد الرازق . سكينه عبد الواحد .

ب - قسم الآلات

ابراهيم مصطفى مندور . السيد امين عثمان . حسين احمد على . اسماعيل محمد زكى طه . ابراهيم ناجى . مختار بكري حسين . سعيد محمد عزت . محمد ابراهيم الأشقر . احمد ابراهيم الباجورى . محمود احمد خميس . على حسونه صالح . محمد اسماعيل الكومى . ابراهيم اسماعيل الكومى عبد الحليم عبد الرحمن . حمدى عبد الحميد همام . عبد المقتدر على سعيد محمد المصرى .

المدارس الثانوية الفنية

ونجح فى امتحان المدارس الثانوية القسم المهنى شعبة الموسيقى حضرات الآنسات : سميحة أمين صادق صيانات حمدى . عواطف عبد المحسن . لندا فتح الله .

تقسيم معهد معلمات الفنون

ومديرات المعاهد

قرر معالى وزير المعارف تقسيم المعهد العالى لمعلمات الفنون الى المعاهد المستقلة وهى :

معهد التدبير المنزلى والفنون الطرزية . ومعهد الفنون الجميلة - ومعهد الموسيقى للمعلمات - ومعهد التربية البدنية - ومعهد الخدمة الاجتماعية للفتيات

وستقسم الدراسة فى المعاهد الثلاثة الأولى إلى مرحلتين :

المرحلة الأولى فنية صرفة مدتها ثلاث سنوات تحصل الطالبة فى نهايتها على دبلوم فنى فى ناحية تخصصها وتستطيع أن تكتفى بذلك إذا شاءت

أما المرحلة الثانية فهى مهيأة لمن يرغبن الاشتغال بمهنة التدريس وستكون مدتها سنة واحدة بمعهد الفنون الطرزية والتدبير المنزلى وبمعهد الفنون الجميلة وسنتين بمعهد الموسيقى

وتقرر تعيين السيدات دولت الصدر مديرة لمعهد التدبير المنزلى والفنون الطرزية ، وزينب عبده مديرة لمعهد الفنون الجميلة للمعلمات ، ونور محمد مديرة لمعهد التربية البدنية للمعلمات واحسان القوصى مديرة لمعهد الخدمة الاجتماعية للفتيات . والدكتورة شيفر مديرة لمعهد الموسيقى للمعلمات ، وعائشة اقبال راشد مفتشة عامة للمواد النسوية بالمراقبة العامة لتعليم البنات

فى تفتيش الموسيقى والأناشيد

نقل حضرة محمود حمدى الجلاوى افندى الكاتب بمراقبة المستخدمين سكرتيراً للجنة السلم الموسيقى العربى والمؤتمر بتفتيش الموسيقى والاناشيد للقيام بالأعمال الكتابية لهذه اللجنة والمعاونة فى الأعمال الكتابية الأخرى بالتفتيش .

ليلة من ليالى الرشيد

تأليف
الأستاذ الصاوى شعلان

(تمثيلية غنائية)

تلحين
الأستاذ محمد صلاح الدين

هذا باب جديد تخصصه المجلة للمجهود المسرحى الغنائى ، الذى يصلح للحياة المدرسية وبرامجها الدراسية . وقد أردنا أن نتيح للمدارس فرصة وجود محصول أدبى من هذا الباب لديها ليكون بمثابة نماذج تنهج نهجها ، بل تقدمها فى حفلاتها ، وخصوصاً الأقاليم النائية البعيدة الاتصال عن المصادر التى تقوم لها بالتغذية الفنية من أمثال هذه المقطوعات .

ونرجو أن نوفق الى متابعة نشر نماذج طريفة من هـذا اللون الأدبى الفنى فى الأعداد القادمة ، تحقيقاً للفائدة المرجوة .

أشخاص الرواية :

هارون الرشيد
الوزير
أبو العتاهية
أبو نواس
شاعران
سياف
حاشية
القيان والجوارى
عازفات

المنظر :

قصر الرشيد ، يتوسط المسرح نافورة (فسقية) - هارون الرشيد جالس تحف به الحاشية وتحت أقدامه القيان والعازفات (تفتح الستار) أثناء عزف موسيقى نشيد (غردى) وهارون يظهر إعجابه ، وأبو نواس يتمايل طرباً ذهاباً وجيئة بشكل يبعث الضحك.

القيان : تغنى :

غردى ياطير ألحان المنى   وانشرى البشرى على الواد السعيد
وابعثى يا شمس أقباس السنا   مشرقات من ضحى العهد الجديد

***

وارقصى فى الروض يا ورق الحمى   رقصة الحور على هزج النشـــيد
وأعيدى صفو ساعات خلت   من ليالى الأنس فى عهد الرشيد

***

أشرق الصبح علينا باسما   ناشراً لألاءة الدر الفريد
فانثروا الورد وغنوا واهتفوا   عاش بيت الملك موفور السعود



أبو نواس : لقد غنت القيان فأعجزت البيان

هارون : أي بيان يا أبا نواس

أبو نواس : شعر كالألماس، أصف به قيان بنى العباس

هارون : هات ما عندك

أبو نواس : يا قاعدة فى الأربع
ما مثلك فى الأبلل
شبهتك بكنافة
مبشوثة بالأعسل

أبو العتاهية (مغتاظاً) : يا أمير المؤمنين مر السياف أن يضرب عنق هذا الأفاق فلقد أفسد النحو ومعانيه والشعر وقوافيه

هارون : يا غلام ادع لنا من بالباب من الشعراء ليريحنا من هذا الهراء

أبو نواس (مرتاعا) :
لقد حسدونى أننى لك شاعر
وغيرى لا يدرى بشعر ولا نثر

أبو العتاهية : جهلت ولم تعلم بأنك جاهل
فمن لى بأن تدرى بأنك لاتدرى
أبو نواس (متضرعا) :
أرحني من النحوى مولاى إنه
تعدى على فضلى وجار على قدرى
هارون : يريحك مسرور
أبو نواس : حنانيك سيدى
فطعنة مسرور قضاء على عمرى
الحاجب : الشعراء يا مولاى
هارون : قد أذنا لك فيهم
أبو نواس : وعندى من الشعر ما يعييهم
الوزير : ماذا أعددتم لأمير المؤمنين من القول الرصين؟
أبو نواس : قد أعددت ما يدهش السامعين
هارون : يا مسرور
أبو نواس : يامولاى سألتزم الصمت المبين
ويك يا أصل بلائى
أحدالشعراء : كأن الفرات العذب ينساب ماؤه
بجودك فى الدنيا فيسقى المغانيا
فلا زلت يا هارون فى العدل كعبة
وملك بنى العباس فى الدهر باقيا
هارون : أحسنت يا هذا
الشاعر الثانى : بك يزكو على الزمان الثناء
واسم هارون للربيع غناء
بك أمست بغداد للعلم فردوساً
وللفن فى رباها ارتقاء

إن حسن التشجيع يسمو به الشعر
وترقى العلوم والعلماء
هارون : أحسنت ولا فض فوك
الوزير : نريد وزناً من الشعر يحمله الغناء ويذيعه كالعطر فى الأرجاء
أبو نواس [يحاول الكلام] : مممم
هارون : ماذا أصابك وأى خطب انتابك
أبو نواس : أتعطيني الأمان ؟
هارون : قد أمنتك فماذا تقول؟
أبو نواس : شعراً كالغناء وغناءاً كالشعر :
إن فى عقلى من الشوق الفظيع أولقا
حينما مر على شكل بديع بحلقا
وجهه وجه لطيف يلمع فى الظلام
وله شكل ظريف ممتع يا سلام
العالم [يقوم ليخرج] : أيأذن لى مولاى؟
هارون : إلى أين؟
العالم : لأريح نفسى من هذا الأولق والشاعر المقعق
هارون : يا مسرور
أبو نواس : سأعود إلى صمتى , وإذا أذن مولاى ، هل أدعو القيان ؟
هارون : وادعو دنانير

تدخل القيان تغني :

أشرقت بك الأيام طاب عهدك السعيد
وازدهت بك الأحلام طلباً الى الرشيد
يا مليكنا الغالى أنت طلعة الآمال
إن أصلك العالى قد وفى له الإقبال
الجلال والسلطان والأمانى والسعود
انحنى لك الزمان مسلماً لك الخلود



١ – يدخل المغنيات من جانبي المسرح وهن يوقعن وزن السماعى الثقيل على الدفوف أثناء عزف موسيقى المطلع ثم يبدأن غناءه إذا ما تكونت منهن الدائرة حول النافورة

٢ – فى أثناء غناء المقطع الثانى يتجهن يمنة تارة ويسرة أخرى بخطوات تتفق وإيقاع اللحن ، وبرفع أيديهن الى أعلى وإلى الجانبين . ثم يعاد غناء المطلع وهن راكعات ، وبمصاحبة التوقيع على الدفوف

٣ – فى أثناء غناء المقطع الثالث تتشكل الدائرة إلى صفين منحرفين تجاه الرشيد والانحناء فى نهاية غناء المطلع

هارون [يصفق استحسانا] : قد أمرنا بألف دينار لكل منكم

أبو نواس : وبألفين لى يا مولاى

هارون : وبألفين من المال الوفير ، تشجيع وتقدير

أبو نواس : لى أنا ؟ !

هارون : لدنانير

أبو نواس : إيه ! !

(ستار)

الموسيقى المصرية

قبل مائة عام

كما يصفها « لين »

نشرنا فى العدد الخامس من هذه المجلة رأياً سجله « كلوت بك » بين مؤلفاته وقد تناول فيه وصفاً للموسيقى المصرية كما رآها فى عصره . ونسجل اليوم رأياً آخر لمستشرق من أعلام القرن التاسع عشر هو « لين Lane » . ويختلف هذا الرأى عن سابقه فى كثير من النواحى والاتجاهات ، يتبينها من يتتبع المقالين .

كتب « لين » الكثير عن الموسيقى المصرية فى القرن الماضى بأسلوب طلى أثبت به عظمة فننا الشرقى ، وزخره بالذوق ، وثراءه بالطرب الذى ملك على « لين » مشاعره وذهب به إلى حد أن قال : « وفى عقيدتى أن أعظم ما من به الله على أن أتاح لى أن أمتع روحى بذلك النعيم الذى تخلقه أنغام مصر الراقية الساحرة » كما قال أيضاً « شربت الموسيقى المصرية ، خمـراً علمتنى نشوتى بها كيف لا أنتشى فى العالم كله بسواها » .

ويضيق المقام هنا عن ترجمة كل ما كتبه « لين » عن موسيقانا ، لذلك نقتصر على إيراد ما وصف به أهم آلات ذلك العصر ، لما فى ذلك من الاستمتاع بصور قديمة لتلك الآلات ، تحدد لنا بالضبط مبلغ تطورها وارتقائها طوال قرن كامل . ولنرجع الآن إلى الوراء مائة عام ، لنسمع « لين » يقول :

العود والقانون والكمنجة والناى والدف هى العناصر الأساسية التى تتكون منها الفرقة المصرية العازفة ، ولذلك يعتمد عليها الفنانون فى إحياء الحفلات ، فهى لذلك أهم الآلات المصرية العديدة المختلفة .

العود

نوع من الطنبور ، يعزف بريشة . وهو آلة قديمة عزف بها أشهر موسيقى العرب فى القرون الماضية حتى لقد ذكره أكثر شعراء تلك العصور .

طوله من القاع إلى زاوية الرقبة خمسة وعشرون بوصة ونصف بوصة . وصندوقـه الصوتى محفف بالأبنوس ، ومكون من تلاصق أضلاع خشبية ، مرققة ومقوسة . وله رقبة أبنوسية ذات وجه صندوقى محفف بالأبنوس أيضاً وفى وجـه العود فتحات مستديرات ثلاث ، إحداها أكبر من الأخريين ، فوق كل منها غطاء من الأبنوس ، وتعرف « بالشمسات » . وتحت الأوتار فى موضع استعمال الريشة تجد الرقة مغراة على الوجه لتقى خشبه من البلى الذى يعجل به احتكاك الريشة .

وللعود ستة أوتار مزدوجـة ، مصنوعة من « مصارين الخراف » ، وتعطى كل زوج منها نغمة واحدة . ونظام تسوية هذه الأوتار غريب ، إذ يعطى أغلظ الأزواج منها ، وأخفضها درجة ، نغمة تناسب تلك التى يصدرها أحد الأوتار فى « كماننا » . ويليها فى السلم الصاعد منها الخامسة ، وذلك باعتبار المتقدمة الأولى ، فالسابعة ، فالثانية فالرابعة ، فالسادسة ثم الثالثة .

ويعزف بالعود ، بضرب أوتاره بريشة رخ أو رخم

القانون

وهو أسم إغريقى مطابق لمعناه المعروف « القانون الذى يشرع به » أو « القاعدة » أو « العرف ـ العادة » ، أطلق على تلك الآلة الموسيقية لأنها أغنى الآلات أنغاماً ولذلك فوجدوها فى « التخت » أساس الكمال

ومن القوانين ما يعرف بالكبير ، لأن طوله يزيد على طول معظم القوانين ببوصة أو اثنتين . ويبلغ طوله الكلى تسع وثلاثين وثلاثة أرباع البوصة ، وعرضه ست عشرة بوصة ، وسمكه بوصتين وعشر بوصة

يصنع القانون عادة من خشب الجوز ، إذا استثنينا فيه بعض ما يحلى به . وللقانون « وجه » و « ظهر » مصنوعان من خشب رقيق (ورقة) أما « أسواره » و « المسطرة » و « الأنف » على امتداد حافته الداخلية التى تمرر فيها الأوتار ، فمن خشب شجر الخوخ . وملاوى القانون مصنوعة من خشب الرمان . ولكن « الفرس » فمن خشب « الورقة » . وفى منتصف « الوجه » تجد الشمسة ، وهى قطعة مفرغة من الخشب الأحمر (ذات ثقوب) . وفى مقابل الزاوية الحادة فى الوجه تقع شمسة أخرى كسابقتها . وللفرس خمسة أقدام ، يرتكز بها بخفة على قطعة من جلد السمك ، سعتها تسع بوصات (الرقة) مغراة فوق خمس طاقات مستديرة الشكل . وأوتار القانون مصنوعة من مصارين الحمل ، وتتركب من أربع وعشرين مجموعة ، لكل مجموعة ثلاثة أوتار تؤدى نغمة واحدة . وأقصر الجوانب فى القانون « القبلة » مكسوة بطبقة من خشب الجوز المطعم بالصدف .

ويعزف بالقانون بضرب أوتاره بريشتين صغيرتين رقيقتين ، مصنوعتين من قرن الجاموس ، وتحصران بين السبابتين ، وحلقتين مغريتين تحيطان بهما « كسابين » ويوضع القانون عند استعماله ، على ركبتى العازف به .

وهناك شبيه للقانون يعرف بالسنتور ، يختلف عنه فقط فى أن له جانبان ماثلان بدلا من واحد ، وأوتاره زوجية من سلك ، ويعزف عليه بضرب أوتاره بعضوين

الكمنجة (١)

اسم فارسى لنوع من الكمان ، طولها الكلى ثمان وثلاثين بوصة ، وصندوقها الصدفى يقرب من ثلاثة أرباع « جوزة الهند » تنتشر عليه الثقوب ومشدودة على فتحته قطعة من جلد السمك المعروف بالبياض ، مثبت فيها « الغزال » . أما الساعد « الرقبة » فجسم اسطوانى مصنوع من الأبنوس المطعم بالعاج ، وفى نهايته قطعة من العاج المصنوعة منه « الخزانة » المثبتة فيها « الملاوى » ذات الأجسام الخشبية ، والرؤوس العاجية .

ولهذه الآلة سيخ حديدى ، بمثابة القدم ، ترتكز أثناء استعمالها ، يخترق صندوقها الصدفى ، ويدخل فى « الخزانة » بطول أربع أو خمس بوصات . وهى ذات وترين يتكون كل منهما من ستين شعرة من شعر الحصان تقريباً . ويربطان من نهايتهما السفلى فى حلقة حديدية مثبتة تحت الصندق الصوتى مباشرة . ومن أقصى الطرفين الآخرين يطيل كلا منهما وتر مصنوع من « مصارين الحمل » يلف به على مفتاحه « الملوى » وفوق هذين الوترين وتحت عقدة اتصالها بالوتر المصنوع من « مصارين الحمل » يلف رباط من الجلد حول خزانة هذه الآلة .

ويبلغ طول « القوس » أربع وثلاثين بوصة ونصف ، وعصاه غالباً من الخيزران يمرر فى ثقب برأسها شعرات الحصان التى توثقها عقدة خلفية ، وتوثق من أطرافها الأخرى إلى حلقة جديدة ، مربوط بها سير من الجلد مشدود من طرفه الآخر فى حلقة جديدة أخرى ، مثبتة فى نهاية هذه العصا .

ويعزف بهذه الآلة بتمرير القوس على الأوتار . ولنقل القوس من وتر إلى آخر ، تدار الآلة قليلا ذات اليمين أو الشمال ، بما يقرب من ستين درجة دائرية . وهناك نوع غريب من الكمان يسمى رباب ويتبع

(١) الآلة المعروفة الآن بالربابة

فقراء المغنين بعزفه أصواتهم . وهو قسمان : « رباب المغنى » ولها وتران ، و « رباب الشاعر » ولها وتر واحد ومفتاحان وطولها اثنتان وثلاثين بوصة ، وجسمها خشبي وجهه مغطى بجلد كالورق « رق » . ولها سيخ ووتر وقوس كالتى « للكمنجة » إلا أن طول قوسها ثمان وعشرون بوصة فقط . ويستعمل هذا النوع عادة رواة قصة « أبى زيد » ولذلك عرفت برباب « أبى زيد » أو رباب « الشاعر »

الناى

نوع من الصفارة . وهو عبارة عن غابة بسيطة طولها حوالى ثمانية عشر قصبة ، وقطر طرفها العلوى سبعة أثمان البوصة ، والسفلى ثلاثة أرباعها . ذات ستة ثقوب أمامية ، وعادة ثقب واحد من الخلف . والناى بهذا الحجم شائع . يستعمله الدراويش فى أذكارهم ، ولذلك سمى « صفارة الدراويش » .

والناى أنواع كثيرة تختلف فى أحجامها ، وغلظ قصبتها . وتستخرج الأصوات من الناى بالنفخ فيه من فتحة ضيقة بين الشفتين على حافة فوهة القصبة ، وتحويل الهواء الحادث من النفخ بخاصة داخل الآلة : وبالنفخ أقوى أو أضعف يصدر الناى أنغاماً حادة أو غليظة . وإجادة العزف بالناى لا ييسرها إلا المران الطويل المتواصل ، وأحياناً يكون الناى « ماسورة » معدنية .

الدف

وهو آلة إيقاعية تستعمل لضبط الإيقاع وتنشيطه لذلك له أهمية كبرى فى « التخت » . وللأهلين ولع شديد بنوع منه أكبر فى الحجم يعرف « بالتار » يستعملونه فى إحياء حفلاتهم الخاصة ولذلك فهو من المقتنوات الأساسية ، يكاد لا يخلو منه بيت . ويبلغ طول قطر « التار » إحدى عشر بوصة . وله إطار مطعم بالصدف والعظم الأبيض أو العاج من الداخل والخارج ومركب فيه عشرة أزواج من الصنوج النحاسية الرقيقة

وهناك آلة نقر أخرى تعرف (بالدربكة) وهى نوعان .

« ١ » الدربكة التى يقتنيها النساء فى المنازل وهى مصنوعة من الخشب المطعم بالأصداف ويبلغ طولها خمسة عشر بوصة ، مشدودة على فوهتها الكبرى قطعة من جلد السمك وفوهتها الأخرى مفتوحة

« ٢ » الدربكة التى يستعملها الملاح فى النيل ، وهى مصنوعة من الفخار وتكبر سابقتها فى الحجم وطولها عادة من قدم ونصف الى قدمين .

وإلى جانب الدربكة يقتنى الملاحون آلة الزمارة (الأرغول) وهو غابتان ، أحداهما أطول من الأخرى وهى التى تصدر صوتا مستمرا من القرار

ومن الطبول أيضا الطبل البلدى ، والطبل الشامى وهو ذو جسم نحاسى أصفر ووجه جلدى رقيق . يبلغ قطره عادة حوالى ستة عشر بوصة ولا يزيد عمقه من الوسط عن أربع بوصات ، ويعلق هذا النوع من الطبل فى رقبة قارعه بسير من الجلد .

والنقاقير وهى الطبول المزدوجة التى تراها عادة فى موكب الحج . والزوج من النقاقير مصنوعتان من النحاس ، تتحدان فى الشكل ، فكل منهما ثلثا دائرة . وتختلفان فى المساحة إذ يبلغ طول قطر السطح الناعم للفسيحة منهما ، قدمين أو يزيد ، بينما قطر الأصغر قدماً ونصف . وتوضعـــان متقابلتين ، الكبيرة إلى اليمين ، والأخرى إلى اليسار ، ملاصقتين لمقدم سرج فوق ظهر جمل يركب عليه قارعهما .

ويقرع الدراويش نوعاً صغيراً من الطبول يعرف « بالباز » وهى ما يستعمله « المسحراتى » .

ويستعمل الراقصات صنجا صغيرة من النحاس الأحمر تعرف « بالصاجات » ، لكل راقصة زوجان منها . تعلق الواحدة فى الإبهام بحبل صغير والأخرى فى السبابة ، وهكذا فى اليد الأخرى . ولهذا النوع صوت ممتاز أعذب بكثير من صوت « الصاجات » الخشبية أو العاجية ؟

سحر الموسيقى

قصة كاملة

(عن الالمانية)

« صديقي الحميم اللورد كارل ستراسبورج »

أشعر الآن وأنا على أبواب الأبدية أن لابنتي « مريم » و « راشيل » ديناً في عنقي يجب أن أوفيه. وقد عجمت عود أصدقائي جميعاً، فلم أجد من هو أحق بهما منك، لما عهدته فيك من النبل والشهامة والوفاء لأصدقائك. وأرى لزاما على، وأنا على فراش الموت، أن أضع وديعتي بين يديك الكريمتين. ولست في حاجة إلى أن أوصيك بهما خيراً، فلي من نبل أصلك وكريم محتدك ما أسكن إليه وأرتاح. أما ضياعي وقصوري فأطلق لك مطلق الحرية في الاعتناء بهما: حتى إذا ما بلغت إبنتاي أشدهما، كان لهما من المال ما يقيهما شر الحاجة، ويجعلهما في بحبوحة من العيش. وياحبذا لو حققت لي أمنية كانت تجيش بصدري منذ أمد طويل فسمحت بزواج ابنك النبيل « سيبر » من ابنتي « مريم » إذن لاسترحت في قبري، وأمنت عليهما غوائل الدهر ومصائب الحدثان...

أستودعك الله يا « كارل » يا صديقي الوفي الأمين. وداعاً... يا ابنتي العزيزتين، يرعاكما الله ويكلأكما بعين عنايته الساهرة... وداعاً...

صديقك المخلص

إدمون بيلوت

ماكاد اللورد « ستراسبورج » ينتهي من قراءة خطاب صديقه المرحوم الكونت « بيلوت » حتى استدعى خادمه « إميل » وطلب إليه إدخال الطفلتين عليه. دخلتا وكانت كبراهما « مريم » وهي في العاشرة من عمرها، على قسط وافر من الجمال. والصغرى « راشيل » لم تعد ربيعها الخامس.

استقبلهما اللورد هاشاً باشاً، وقبلهما وهو يحتضنهما بين ذراعيه، فأجلسهما بجواره، ونظر إلى الكبرى بعطف وقال مستفسراً:

— مريم؟ أليس كذلك؟

— نعم يا سيدي اللورد

وربت على خد الصغرى وقال بحنان:

— وأنت راشيل العزيزة؟

— نعم! ولكن أين والدي؟ أني لا أراه هنا كما أخبروني!

هنا أرتسم الأسى على وجه اللورد النبيل، ولكنه تصنع السكينة وقال بصوت خافت:

— لقد سافر إلى أمريكا، وسوف يعود قريباً. وستمكثان عندي حتى يعود.

وسأحضر لك دمية جميلة تسرين بها كثيراً.

واستمر يلاطف الطفلتين ويداعبهما، وقد جلست كبراهما صامتة، وكأنها كانت تشعر فى قرارة نفسها أنها أصبحت هى وشقيقتها وحيدتين فى الحياة بعد وفاة والديهما. وكم كانت مريم بليغة فى صمتها، فكانت تبتسم للورد آونة بعد أخرى، كلما وجه اليها الحديث.

عاهد اللورد نفسه أن يبذل طاقته فى العمل على إسعاد اليتيمتين. فأمر لهما ببيت منسق جميل، يحوى حديقة غناء، ويقع على رابية عالية بين ضياعه الواسعة الأرجاء، وكلف مربية طفله «سيبر» أن تهتم بشئونهما وأن ترعاهما بعين عنايتها. وقد كانت السيدة «مرجريت» عند حسن ظن اللورد بها، فلم تأل جهداً فى خدمتهما والسهر على راحتهما.

دخل «سيبر» وكان فى الخامسة من عمره، على أبيه، وكان جذلا طروباً كعادته، ولثم جبين والده بكل احترام وقال له وحمرة الخجل تعلو وجهه الجميل:

— أبتي! الملك تعلم أنى أحب «كارولين» من كل قلبى، وقد تعاهدنا على الزواج عندما تبلغ السادسة عشرة من عمرها، فهل أطمع فى رضاك وموافقتك؟

وهنا تجهم وجه الوالد قليلا، ونظر إلى ولده الوحيد بعطف وحنان، وقال فى رفق:

— «سيبر»!! هبنى طلبت إليك أمراً، فهل تستجيب لى؟

— وهل في ذلك شك يا والدى العزيز؟

— إذن فهاك خطاب صديقى المتوفى الكونت «بيلوت»، فاقرأه وساعدنى على تنفيذ وصيته إن أمكن.

وما أن أتم الولد قراءة الخطاب حتى شحب وجهه وشعر بقشعريرة داخلية، ولكنه سرعان ما تمالك نفسه وقال فى رباطة جأش:

— ما دامت هذه إرادة صديقك الكونت، فأنا على استعداد تام لطاعتك والنزول على مشيئتك.

عندئذ تهلل وجه اللورد بشراً، واحتضن ابنه بحنان وهو يقول:

— بورك فيك يا سليل بيت المجد، وربيب النبلاء لقد حققت ظنى، فما خامرنى شك، فى طاعتك لوالدك

إنصرف «سيبر» تتنازعه عاطفتان: عاطفة الحب وعاطفة البنوة. ويالهما من عدوين لدودين...

مضى على هذا الحادث سبع سنين، توفى في خلالها اللورد «ستراسبورج» تاركا لولده لقبه وتراثه. وما انقضى زمن الحزن، حتى أفاق اللورد الصغير «سيبر» لنفسه، وجلس يفكر فيما وصلت إليه حالته بعد وفاة أبيه محاولا أن يجد لنفسه مخرجاً. فهو يحب «كارولين». ولكنه فى الوقت ذاته قد قطع على نفسه عهداً لأبيه أن يتزوج «مريم». فأيهما أحق بالطاعة قلبه أم والده!!

وشاء الله أن يساعده على طاعة أبيه، ولو مرغماً ففوجيء يوماً بخبر خطوبة «كارولين» لدوق نبيل يفوقه مالا ولقباً، ويدعى الدوق «دراموند».

جزع اللورد «سيبر» لخيانة صديقته، التى أوشك أن يضحى من أجلها بوعده لوالده. ولكنه كظم غيظه وعض نواجذه حقداً عليها، وغلبه كبرياؤه، فحاول أن ينساها، أو يتناساها على الأقل، مهما كلفه الأمر. فأرسل يستدعى فى الحال مربيته، التى لازمت الفتاتين منذ مجيئهما، نزولا على رغبة اللورد الراحل، وقال لها فى اقتضاب:

— لقد أمرنى والدى أن أتزوج من «مريم». وكم كان بودى أن أخالف إرادته، لو لم تصرم «كارولين» حبال ودى، وتبيعنى بيع السلع من أجل رجل يحمل لقباً أكبر من لقبى. فياللخيانة المرأة. ولكن قضى الأمر. فلا داعى إذن للجدل.

أنبئي « مريم » أني على استعداد لعقد قراني عليها ولكن أخبريها في صراحة أني لا أشعر بأي ميل نحوها خصوصاً وأنا لم أرها مرة واحدة . خبريها بذلك . واطلبي إليها إذا شاءت أن تحضر في صباح الغد إلى الكنيسة . وسأكون هناك بصحبة صديقين لي . ولكن أنبئيها أني لا أحبها . وسوف تبقى كما هي في منزلها مع شقيقتها . أي أننا سنعيش منفصلين . وكم أكون سعيداً لو أسديت إلى خدمة بسيطة يا عزيزتي

— إذا كان في مقدوري فبكل سرور يا سيدي اللورد !!

— إذن فاطلبي إليها أن تخفي وجهها تحت نقاب كثيف حتى أشعر ، ولو على خطأ ، أني أزف إلى « كارولين » . وفي ذلك بعض الراحة لي .

— سأحاول يا سيدي اللورد

وأذن لها بعد ذلك في الانصراف فخرجت وخلفته وراءها مطأطيء الرأس .

تمت مراسيم الزواج على أبسط وجه . وكانت للورد مشيئته فلم ير وجه عروسه . وانصرف عقب قرانهما ، بعد أن استأذن عروسه ببضع كلمات تقليدية

وهكذا انتهى الفصل الأول من تلك المأساة ، أو قل تلك المهزلة .

* * *

كانت صدمة قاسية للزوجة « مريم » شعرت بعدها بالذلة والمسكنة ، وبزهدها في الحياة . وما استقرت في منزلها حتى احتضنت شقيقتها « راشيل » وأطلق الاثنتان لعبراتهما العنان ، حتى أنهكت قواهما فناما في مجلسهما إلى الصباح .

وطدت « مريم » العزم على ألا تبرح منزلهـا ، فكانت تقضي معظم وقتها أمام « البيانو » تعزف عليه بمهارة فائقة ، وتغني بصوت ملائكي حنون ، تستشعر من نبراته معنى البؤس والشقاء .

جلس اللورد « سيير » عقب قرانه يفكر فيما وصلت إليه حاله . وود لو انشقت الأرض فابتلعته ، أو أرسلت السماء صواعقها فأفنته . يا لسخرية القدر !! جمع بين الشباب ، والمال ، والصحة ، واللقب ، ولكن تنقصه السعادة !! ولو شاء لامتلك ما طاب له مما له . ولكن راحة الضمير وهدوء البال هما الوحيدان اللذان لا يشتريان بالمال ، وهما ما ينقصانه . إذن فلا مفر من الاعتصام بالصبر ، والله يتولاه بعد ذلك .

حاول في عصر أحد الأيام أن يرفه عن نفسه قليلا ، فامتطى صهوة جواده ، وخرج يستنشق نسيم الربيع بين ضياعة الواسعة ، وكان دائم التفكير ، حتى لكان يخيل لمن رآه أنه كهل في الخمسين من عمره . ولا عجب فقد أناخ عليه الهم بكلكله ، فكثرت التجاعيد في وجهه ، وفارقت الابتسامة ثغراً كان فيما مضى من أكبر أنصارها ...

لم يكن اللورد الصغير يقصد مكاناً معيناً ، فترك لجواده الحبل على الغارب . وكان الليل قد أرخى سدوله حينما أقترب من منزل صغير ، تحيط به حديقة بديعة التنسيق . ولم يكن في ذلك ما يلفت نظره . ولكن النسيم قد حمل إليه في تلك اللحظة صوتاً ملائكياً . وعزفاً ساحراً . ولأول مرة بعد زواجـــه استيقظ اللورد من سباته ، وحطم قيود نفسه ، وبقي ردحاً من الزمن يصغي بكل جوارحه إلى تلك الموسيقى التي ملكت عليه مشاعره فنسي همومه . ولا غرو فقد كان اللورد « سيير » فناناً كبيراً ، نشأ هائماً بالموسيقى فاغترف من مناهلها ، وأكسبته رقة الشعور التي اشتهر بها بين أهله وعشيرته .

ترجل اللورد الصغير عن جواده ، وسار ببطء نحو ذلك البيت الموسيقي ، واقترب من إحدى نوافذه

فى حذر واحتراس ، فوقع نظره على فتــــاة لم ير فى حياته أكمل منها أنوثه أو أجمل منها صورة ، وقد جلست تعزف على البيانو وهى تشدو بصوت شجى ، لو سمعه بيتهوفن فى قبره لردت إليه روحه وهب واقفاً من لحده وخر ساجداً أمام صاحبة تلك الأنامـــــل اللؤلؤية والحنجرة الذهبية .

إنتصف الليل وهو جاثم فى مكانه ، ولم يشعر بنفسه إلا حين محا دمعتين كانتا تترقرقان فى عينيه ، ثم انحدرتا على خديه ، الأولى من تطريب ما سمع من بديع الموسيقى والثانية لحزنه وأسفه لأنه تزوج من فتاة مجهولة لديه ، فوق أنه لا يشعر بأى ميل نحوها . ولو انه كان خالياً من قيود الزوجية لما تردد لحظــــة واحدة فى الدخول على تلك الفتاة الموسيقية ، أو قل الملاك الطاهر ، ليضع قلبه وثروته ولقبه تحت قدميها . ولـكن سبق السيف العزل . فعليه إذن أن يعتصم بالصبر ، أو يضع حداً لحياته ، بعد أن أصبح فى نظر نفسه شقياً يرثى لحاله . ولـكن أيقتل نفسه بيده ، شأنه فى ذلك شأن الجبناء ؟؟ وهو اللورد النبيل سليل بيت المجد والجاه العريض !!.. لم ير بعد ذلك بداً من الانسحاب ، فتقهقر فى خطوات متباطئة وامتطى صهوة جواده مرة أخرى ، وعاد أسفاً حزيناً يندب سوء حظه ، ويلعن تلك اللحظة التى حضرت فيها الفتاتان إلى والده المرحوم ليكونا تحت رعايته ... ما أقسى الحياة تعطى الإنسان المال الكثير لتسلبه نعمتى الراحة والهدوء .

عاد اللورد « سيبر » إلى حجرة نومه ؛ وأغلقها على نفسه ، ووضع رأسه بين كفيه ، وجلس يبكى كالأطفال حتى انبلاج الصبح . لم يذق طعم الكرى ، حتى تورمت عيناه وشحب وجهه ..

وشاء القدر ، زيادة التنكيل به أن يموت أحد أقربائه وكان يحمل لقب « برنس » ، وخلف وراءه ثروة طائلة ، ورثها مع لقبه ذلك اللورد « سيبر » الصغير ، فأصبح يدعى « البرنس سيبر » . ولو خير بين لقبه وماله وبين فتاته الفنانة الجميلة لما تردد لحظة واحدة فى تضحية كل شىء فى سبيل الحصول عليها ، والعيش بجوارها ، ولو أضطر أن يفترش الأرض ويلتحف السماء ، ولـكن ... ما أقسى تلك الـكلمة على نفسه ، وأشدها على قلبه المكلوم .

توفى الدوق « دراموند » زوج « كارولين » حبيبته الأولى ورفيقة صباه ، فعادت إلى مسقط رأسها ، حيث يقيم البرنس « سيبر » وكانت قد سمعت بلقبه الجديد ، وثروته الطائلة ، التى ورثها عن أحد أقربائه المتوفين . ظهرت غريزة المرأة وجشعها ، فظنت أنه من السهل الميسور لديها أن تغرى البرنس « سيبر » مرة أخرى بعد أن تظهر إليه ندمها وتوبتها . وعلقت على ذلك آمالا كباراً ، فستدعى بعد زواجها من البرنس « بالبرنسس كارولين » ... لقب عظيم ما كانت لتحلم به ... فأسرعت إلى مرآتها ، وبعد أن أطمأنت إلى جمالها الفتان ، راحت تصلح من زينتها مبالغة فى البهرجة فقد كانت قادمة على امتحان ، فإما الفشل وإما السعادة والنعيم .

إستأذنت فى الدخول على البرنس « سيبر » . وبعد تردد دام وقتاً قصيراً سمح لها بالمثول بين يديه ، فابتدرته بقولهـا :

ــ آه ياعزيزى « سيبر » لو كنت . . . .

ــ إنى أدعى « البرنس سيبر » ياسيدتى ، ولست أقبل منك ولا من غيرك أن ينادينى باسمى مجرداً عن لقبه .

وقع ذلك الجواب الفجائي على نفس « كارولين » وقوع الصاعقة ، فشحب وجهها ، ولكن سرعان ما تملكت رباطة جأشها واستمرت تقول :

— إنى اعتذر لسيدى البرنس عن هفوتى التى ارتكبتها عن غير قصد . ولولا وثوقى من كرم أخلاق سموك وصفحك عنى ، بعد تلك الغلطة الشائنة ، لما سمحت لنفسى . . . .

وهنا أظهرت « كارولين » سلاح المرأة الوحيد ، الدموع ، ويا له من سلاح قاطع النصل . وظلت تبكى وهى ترمى نفسها بكل نقيصة لنقضها حبها الأول الذى كان ولا يزال متغلغلا فى قلبها ، فهى لم تحب زوجها الدوق المتوفى يوما من الأيام ، وإن قلبها لا يزال ملكا للبرنس « سيبر » وإنها على استعداد للتكفير عن ذنوبها بالوسيلة التى يرتضيها البرنس . كل ذلك والبرنس « سيبر » صامت فى مكانه لا ينبس ببنت شفه . بل كان ينظر إليها نظرته إلى حية رقطاء جاءت ترقص أمامه فى ثوبها القشيب .

كان من الممكن أن يرق قلب البرنس لها ، وأن تعود المياه إلى مجاريها ، لو لم يكن قد وقع أسير حب فتاته الموسيقية . ولذلك قال فى اقتضاب :

— سيدتى الدوقة ! سأكون صريحاً معك إلى أقصى حدود الصراحة . كان من الممكن أن أصفح عنك رغم عظيم جرمك ، ولكن حدث . . . أنى أغرمت بفتاة طيبة القلب وديعة النفس ، جميلة الوجه ، ذات صوت حنون ، فنانة موسيقية . وأنا كما تعلمين أعشق الموسيقى ، فاتحدت روحى بروحها وأصبح من المستحيل أن أنساها ، حتى ولو أردت ذلك . فاعملى ياسيدتى الدوقة على أن تنسينى ، فلست أهلا لك ولا أنت أهلا لى . إنسى الماضى وذكراه . وإنسى كل شىء يتعلق بى . وإذا شئت أن تذكرى شيئا ، فلك مشيئتك . إذكرى إذن خيانتك لى وتفضيلك الدوق « درامو ند » على . ذلك أنه كان يحمل لقب « دوق » وكنت فى ذلك الوقت « لوردا » وكان أغنى منى !! أليس هذا هو السبب ؟ . . . كونى صريحة . . . ولكن لاداعى الآن لإثارة تلك الذكريات المؤلمة . وفى النهاية أقول لك إنى قد نسيتك تماماً . ولن أتحول عن عزمى ولو نزلت صواعق السماء ، وزلزلت الأرض زلزالها .

وهنا انتفضت « كارولين » كعصفور بلله القطر ، وقالت فى ذلة واستعطاف :

— إذا كان الأمر كما تقول يا سيدى البرنس فلا تجابهنى بالقطيعة مرة واحدة ، واسمح لى بزيارتك من آن لآخر ، وعدنى بدعوتك لى فى رحلاتك وولائمك

ولما كان البرنس « سيبر » قد ضاق بثرثرتها ذرعاً وأراد اجتناب الجدل ، فقد أجابها فى اقتضاب :

— سأفعل ذلك

— شكراً ! . . . أأنصرف الآن ؟

— إذا شئت . . .

خرجت الدوقة « كارولين » تتعثر فى أثواب الخجل ، ولكن كان رائدها تلك الجملة الذهبية عند النساء وهى « تمسكنت فتمكنت » ، فابتسمت فى خبث ودهاء ، وخرجت وهى تقول : « لن أسمح لأى امرأة أخرى أن تغتصبك منى ، وسأنالك يا « سيبر » ولا تظنن أنى أفلتك من يدى ، كلا فأنت صيد ثمين .

أكثر البرنس « سيبر » من التردد على منزل معبودته الفاتنة ، وهو يمنى النفس بالتقرب إليها ، إلى أن حانت له تلك الفرصة الذهبية ، فقد رآها وهى تقطف الأزهار من حديقتها ، فأسرع إليها وانحنى أمامها باحترام قائلا :

— هل تسمح آنستى المحترمة أن أقوم عنها بقطف الأزهار ؟

وهنا أرتج على الفتاة ، وسرت القشعريرة بين أوصالها ، وكادت تخور لولا أنها تماسكت نفسها بسرعة ، وقالت بأدب متكلف :

ــ شكراً يا سيدى البرنس !! إن هذا تواضع من سموك لا أسمح لنفسى بارتضائه .

ــ أنت تعرفيننى إذن ياسيدتى ؟

ــ وهل هنا فى مقاطعتك وضياعك من يجهلك يا سمو البرنس ؟

شعر « سيبر » بلهجتها الساخرة ، ولكنه كظم غيظه ؛ فهو الذى سعى لها وأراد التعرف إليها ، فلا بد له من احتمال كلماتها اللاذعة مهما قست ، شأن كل محب ولهان .

ــ لقد استمعت لعزفك وغنائك البديع مرات عديدة خلال النافذة

ــ أكان بديعاً حقاً . إن رأى سموكم فى فنى يزيدنى شرفاً ويجعلنى أتيه عجباً وفخاراً على أترابى

ــ إنى رجل موسيقى قبل أن أكون برنساً ، وأظن أن الحكم الذى أصدره له موضع لا يتعدى الحقيقة بحال

ــ شكراً لك على هذا الإطراء الذى لا أشك ، رغم احترامى لرأيك السامى ، أنك تبالغ فيه

وهنا أوشك البرنس « سيبر » أن ينفجر من الغضب ، ولكنه تكلف الابتسام واستمر يقول :

ــ إذن فهل تسمحين لى أن أحضر معى كمانى فنعزف سوياً ؟

ــ إن كان فى ذلك سرورك فليس لدى مانع

ــ إنه لشرف عظيم لا يسعنى إلا أن أطأطىء الرأس أمامه إكباراً وإجلالا .

ــ حقاً ؟

ــ ومتى أحضر ؟

ــ باكر فى الرابعة بعد الظهر

ــ شكراً يا سيدتى وإلى اللقاء

وانحنى أمامها مرة أخرى باحترام ، فابتسمت تقول فى صوت ملائكى لا تخلو نبراته من التهكم اللاذع :

ــ إلى اللقاء يا سيدى البرنس ، كم أنا سعيدة

***

توثقت عرى الصداقة بين الفتاة والبرنس ، أو هذا ما تخيله « سيبر » على الأقل ، حتى إنه تجرأ وفاتحها فى موضوع حبه لها ، فلم يظهر على الفتاة أى اهتمام ، ولكنها قالت بدلال :

ــ ولكنك كما علمت متزوج

ــ أنا ! ! ومن أخبرك بذلك ؟ من هو ؟ خبرينى سريعاً ؟

ــ لا تنفعل يا سيدى البرنس فلم يخبرنى بذلك أحد ، وإنما علمته بنفسى

ــ علمته بنفسك ! إنى لا أكاد أصدق هذا ...

ــ أشكر لك يا سيدى البرنس إهانتك لى

ــ آسف يا سيدتى ! إنى أعتذر إليك فقد تولانى الذهول عند ما أخبرتينى ذلك السر الذى لا يعلمه أحد هنا أو هناك . ولكن من عساه أن يكون الواشى ؟

ــ وهل تعتبر الحقيقة وشاية ... ألست متزوجا ؟

ــ نعم ... ولا

ــ وكيف ذلك ؟ هل لك فى الإفصاح إذا سمحت ؟

ــ طبعاً ... طبعاً ! ... أنا أقصد أن أقول إنى حقيقة متزوج ، ولكنى لم أر زوجتى مرة واحدة فى حياتى ، ونحن نعيش منفصلين

ـ وكيف نعقد قرانك على فتاة لم ترها أو تجالسها قبل ذلك ؟ يلوح لى يا سيدى البرنس أنك تهزأ بى

ــ أقسم غير حانث أنى أقرر الحقيقة ، فقد طلب إلى والدى أن أتزوج من ابنة صديق له متوفى ، ولما لم أشأ أن أغضب والدى قبلت على مضض ، ووعدته بذلك

ــ وأين زوجتك الآن ؟

ــ لا أدرى ! فى مكان ما هنا ، وغير بعيد !

ــ ألم تفكر فى زيارتها ؟

ــ لا ياسيدتى فأنا لا أشعر نحوها بأى ميل

ــ مسكينة تلك الزوجة ... وهل تعلم هى ذلك ؟

ــ نعم لقد أخبرتها مربيتى بذلك بناء على طلبى

ــ وهل زوجتك تحبك ؟ . . سامحنى لتطفلى

ــ لا أدرى ... ربما . . ولكن لماذا تحبنى وأنا لم أظهر أى شىء أستحق به عطفها ، فما بالك بحبها !

ــ هل لى أن أسدى إليك نصيحة ياسيدى البرنس ؟

ــ تفضلى .

ــ إذن فعد إلى زوجتك ، بعد أن تبحث عنها ، وتعلم مقرها ، واستعطفها . وإنى واثقة أنها ستصفح عنك ، وتنسى الماضى ، فلا يقلقكما شىء بعد الآن .

ــ ولكنى أحب فتاة أخرى ...وهنا أطرق خجلا

وأدركت الفتاة معنى كلماته ، ولكنها تجاهلتها وقالت مستفسرة :

ــ وكيف تسمح للحب أن يغزو قلبك وأنت متزوج

ــ لا أدرى .. لا أدرى ...

وهنا انفجر البرنس باكيا ، وجثا أمامها وهو يقول :

ــ أنت ... أنت من أحب . . . آه يا لتعاستى وشقائى . . . ولكن لا ، فسأطلق زوجتى لأطلب يدك أنت . . .

ــ يدى أنا ! هذا مستحيل ... فأنا لا أسمح بتعاسة امرأة فى سبيل سعادتى أنا !

ــ ولكنى أحبك أنت دون امرأتى .

ــ إنك لم تر زوجتك ... متى أثق بحكمك !!

ــ ولكن قلبى هو الذى يحكم لا شخصى .

ــ إذن فجرب ولو مرة واحدة . إبحث عن زوجتك ، واجلس إليها ، واستسمحها واعتذر ، وأنا واثقة أنها ستصفح عنك ، وستحبها حبــاً ينسيك حبك لى .

ــ هذا مستحيل .

ــ ليس هناك مستحيل ياسيدى .

ــ وإذا لم تصفح زوجتى عنى ، ولم أحبها فما يكون حالى حينذاك ؟

ــ كن مطمئناً . ستحبها جداً . وستحبك هى الأخرى ...

ــ إنك تتكلمين بلهجة الواثق ، فهل تعرفينها ؟

ــ لا أعرفها بالطبع ، ولكن قلوبنا نحن معشر الجنس اللطيف أرق من قلوبكم أنتم معشر الرجال . عفواً لصراحتى ياسيدى البرنس . ورنت إليه بنظرة كاد يذوب منها غراماً وخجلا .

ــ وهى ياسيدتى أنى لن أحب زوجتى . ولكن لا . لا . لا يمكن أن أحبها .. فقلبى لك أنت فقط . ولا يمكن أن أحب أحداً سواك ، فالحب لا يباع ولا يشرى .

ــ إنك لن تخسر شيئاً إذا حاولت .

ــ وإذا لم أفلح فى حبها فماذا يكون الحل ؟

ــ ثق أن حبك لزوجتك سينسيك حبك لى .

ــ آسف أن أخالف مشيئتك لأول مرة . وسأطلب حالا من سكرتيرى العمل للانفصال من زوجتى لأتزوج منك .. إرحمينى !! .. أليس فى قلبك رحمة أو شفقة ؟

ــ وهل رحمت أنت أو أشفقت على زوجتك المسكينة ، حتى تنتظر منى ما أبيته أنت على زوجتك

ــ سأطلقها بعد أن أهبها نصف ثروتى ، فلا عيش لى بدونك !

ـــ إنك إن فعلت ذلك فستخسرها وتخسرني أنا كذلك .

ـــ وما علاقتك أنت بالموضوع ؟

ـــ علاقتي !! أأبني صرح سعادتي على أنقاض تعاسة امرأة مثلي ؟ لا ! لن يكون هذا أبداً ...

ـــ سأعود إليك في الغد لأستمع إلى قرارك ففيه إسعادي أو الحكم بفنائي . هل تسمحين لي بأن أقبل يدك ؟

فمدت إليه يدها وهي تبتسم ابتسامة الفوز المحقق .

***

في صباح اليوم التالي أرسل البرنس في استدعاء مربيته ، فلما مثلت بين يديه قال لها في استعطاف :

ـــ إنك تحبينني ، ما في ذلك شك . وترغبين في سعادتي . ولا أريد أن أكتمك جلية الأمر . فإني قد وقعت في حب فتاة . وأطلب إليك أن تسألي زوجتي إذا كانت على استعداد للسماح بالطلاق منها ، مقابل نصف ثروتي ، أهبها لها عن طيب خاطر .

ـــ ولكنها لن تسمح بذلك مطلقاً ، ولن ترضى بغيرك بديلا ! !

ـــ إذن فما العمـــل ؟

وهنا تبسمت المرأة الطيبة وقالت بحنان :

ـــ يمكنك أن تطلب ذلك من زوجتك بنفسك

ـــ إني أخجل من مقابلتها لمثل هذا الغرض !

ـــ إنها فتاة طيبة ومن يدري ؟ ربما أشفقت عليك فأعطتك حريتك ، فهي رقيقة الشعور ، ولا ترجو غير سعادتك .

ـــ حقاً ! ... فهيا بنا إليها سويا ...

وركب البرنس مركبته مع مربيته ، وقال لها في اقتضاب :

ـــ أخبري السائق عن الطريق .

ـــ إنه يعرفه ... أليس كذلك يا « صموئيل » .

وأجاب الحوذي بأدب : نعم ياسيدتي .

وأغمض البرنس عينيه وهو يفكر فيما هو مقدم عليه ، ورمى نفسه بالجبن والنذالة . ولكنه التمس لنفسه العذر ، فالحب سلطان يأمر فيطاع .

وهب البرنس واقفاً حين سمع مربيته تقول :

ـــ ها قد وصلنا .

ـــ ماذا ! ... وأين نحن الآن ؟

ـــ أمام المنزل الذي تقطنه زوجتك !!

ـــ ليس هذا ممكنا .. ولكن ألا ... ألا يمكن... إن ... هي .. لا .. لا .. لا .. فهذا مستحيل .

وابتسمت السيدة العجوزة ، وقالت تخاطبه ، وهي تقدم يدها لمساعدته :

ـــ تفضل .. تفضل وانتظر قليلا ... فستحضر إليك حالا

وجلس في حجرة الانتظار ، وهو يضرب أخماساً لأسداس

ـــ ماذا أرى ؟ وهل ... ! لاشك أنني جننت

ولم يشعر إلا وهو يصرخ :

ـــ أريد أن أتكلم مع زوجتي ! أين هي أحضريها حالا ... رباه لو دام الحال على هذا المنوال بضع دقائق أخرى فإني هالك لا محالة ...

ـــ مهلا ياسيدي البرنس فهاهي قد حضرت .

وهنا انتفض البرنس واقفاوقال في صوت خافت :

ـــ من أنت ياسيدتي ؟ خبريني سريعاً ... هل أنت فتاة أحلامي ، أم زوجتي ؟ .

ـــ الاثنتان ياسيدي البرنس ، ويا زوجي العزيز !

وسقط على الأرض ليرى نفسه بعد قليل بين ذراعي زوجته « مريم » وهي تبلل جبينه بدموع الفرح ...

وكان اتصالا موسيقياً لا انفصال بعده .

م . د